

الفصل الأول

مرحلة الاحتلال

الساحة السياسية في عصر الجواهري

الفصل الأول

مرحلة الاحتلال

الساحة السياسية في عصر الجواهري

توطئة تاريخية:

من المعلوم أنّ الجواهري، ولد عام (1900) م، وهي المرحلة التي كان فيها العراق جزءاً من الإمبراطورية (العثمانية)، فعاش شطراً من حياته في ظلها، وشهد في شبابه انهيارها على يد (الانكليز) في أثناء احتلاله للعراق عام (1914)، وقد خاض الجواهري غمار صراعات حادة في كلتا المرحلتين لاسيما مرحلة الاحتلال والانتداب وما بعدها، وقد أثرت تلك الصراعات الكبيرة - التي شكلت فيما بعد تاريخ العراق السياسي - في شخصيته وأدبه. فالأحداث التي مرت بالعراق كان لها أثرها الفعال في إنتاجه الأدبي، فشعره يعكس تاريخ العراق إذ نجد في شعره القوانين المعمول بها في تلك المرحلة، ومستوى المعيشة، ورجال الحكم، ونوع الحريات والديمقراطية، والعلاقات السياسية والاجتماعية، والمستوى الثقافي⁽¹⁾، فقد عاصر العهد العثماني، وعهد الاتحاد والترقي والاحتلال البريطاني، وتشكيل الحكم الوطني، وكان على صلة بقيادة السياسة، وربابنة البلاد.. وقد أسهم إسهاماً فعالاً في تاريخ العراق الأدبي⁽²⁾، فشعره سجل لأحداث (قرن) كامل تقريباً، بما تنطوي عليه من هزات اجتماعية واضطرابات سياسية، وانتفاضات وطنية، وثورات فكرية⁽³⁾. فدواوينه تعج بقصائد تندد بالاحتلال⁽⁴⁾ وتمجد الثورة العراقية⁽⁵⁾، كما نجد قصائد تنقلب بين المدح والذم في (الملك فيصل)⁽⁶⁾ و(غازي)⁽⁷⁾ و(عبد الإله)⁽⁸⁾ و(نوري السعيد)⁽⁹⁾، كما نعتشر على قصائد تهاجم

-
- (1) ينظر: الجواهري شاعر العربية: عبد الكريم الدجيلي: 52. مطبعة الآداب: النجف: 1972.
 - (2) ينظر: خيرى الهنداوي: حياته وشعره: 56.
 - (3) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 105.
 - (4) قصيدة (العزم وأبناؤه): الأعمال الكاملة: 1 : 57، و(شدة لندن): الأعمال الكاملة: 174. وقصيدة (الثورة العراقية): الأعمال الكاملة: 1 : 63. وقصيدة: (المس بل): 1 : 222.
 - (5) قصيدة (ثورة العراق): الأعمال الكاملة: 1 : 59. و(الثورة العراقية): الأعمال الكاملة: 1 : 63.
 - (6) قصيدة (تذكر العهود): الأعمال الكاملة: 1 : 110. و(الملك والانتداب): الأعمال الكاملة: 1 : 83. و(ثورة الوجدان): الأعمال الكاملة: 1 : 192. و(وخزات): الأعمال الكاملة: 1 : 108.
 - (7) قصيدة: (كفارة وندم): الأعمال الكاملة: 4 : 657. و(غازي): الأعمال الكاملة: 1 : 158.
 - (8) قصيدة: (ناغيت لبنان): الأعمال الكاملة: 3 : 497. (وقد علق على صدره أرفع وسام): الجواهري شاعر من القرن العشرين: 19. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: د. محمد حسين الاعرجي: 171: دار المدى للنشر: دمشق: 2003.
 - (9) وقد خص الجواهري، (نوري السعيد) بقصيدتي مدح، وهما: (الزعيم نوري) و(لنكن حازمة). تنتظر: جريدة العراق (عدد) 3041، 7 نيسان. وينظر: مع الجواهري والحديث ذو شجون: د. إبراهيم السامرائي:

السلطة⁽¹⁾ وتحط من قدرها بطريقة لا مثيل لها في تاريخ الشعر قديما وحديثا، فهو السياسي الأديب. فعمل في البلاط ثم امتهن الصحافة السياسية، ووقف إلى جانب انقلاب (1936)⁽²⁾، ودخل (البرلمان) وأيد ثورة (رشيد عالي) وهرب إلى إيران، وندد باتفاقية (بورتسموث)، وسجل أحداث وثبتها، ورثى شهداءها⁽³⁾، وخلد انتفاضة (1952)⁽⁴⁾ وثورة (14) تموز (1958)⁽⁵⁾، وكتب أروع قصائده في حب العراق⁽⁶⁾، ولم ينغلق الشاعر داخل حدود العراق وأحداثه العامة، حيث لم تقيده الحدود الإقليمية من انطلاقته عبر ساحة الوطن العربي، فبكى فلسطين في نكبتها عام (1948)⁽⁷⁾، وما أعقبها من تشرد وفقر، فظل يتدفق حقدا على الصهيونية والاستعمار، كما بكى من قبلها (الأندلس)⁽⁸⁾ ووقف مع الشعوب العربية، فتناول ثوراتها ومواقفها، وكان لثورة (الجزائر)⁽⁹⁾ أثر كبير في شعره، وهكذا قصائده في (مصر)⁽¹⁰⁾ و(سوريا)⁽¹¹⁾ و(لبنان)⁽¹²⁾ و(تونس)⁽¹³⁾ والوحدة العربية⁽¹⁴⁾، كما خلد شخصيات وطنية⁽¹⁵⁾ وعربية⁽¹⁶⁾ وإسلامية⁽¹⁷⁾ وعالمية⁽¹⁾ نتيجة

350. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل). وينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: د. علي عباس علوان: 274. وتنتظر: قصيدة (في مؤتمر المحامين): الأعمال: 4 : 622.
- (1) قصيدة: (الدم يتكلم بعد عشر): الأعمال: 2 : 272. و(ساعة مع البحر): الأعمال: 1 : 213. و(ما تشاعون): الأعمال: 4 : 664. و(توبة الجياح): الأعمال: 4 : 610. و(يا لم عوف): الأعمال: 4 : 664. و(هاشم الوتري): 3 : 561. و(على قارعة الطريق): الأعمال: 3 : 387. و(سبحان من خلق الرجال): الأعمال: 1 : 122.
- (2) قصيدة: (تحرك اللحد): الأعمال: 2 : 361.
- (3) قصيدة: (في مؤتمر المحامين): الأعمال: 4 : 622، وقصيدة: (أخي جعفر): الأعمال: 3 : 501، وقصيدة (ذكرى): الأعمال: 4 : 627.
- (4) قصيدة: (ظلام): الأعمال: 4 : 640. و(ما تشاعون): الأعمال: 4 : 634.
- (5) قصيدة: (جيش العراق) الأعمال: 4 : 706. و(باسم الشعب): الأعمال: 4 : 712. و(سلمت ثورة): الأعمال: 6 : 950.
- (6) قصيدة: (يا دجلة الخير): الأعمال: 5 : 772. و(أيها الأرق): الأعمال: 5 : 787. و(بريد الغربية): الأعمال: 1 : 164. و(على كرنند): الأعمال: 1 : 128. و(بين قطرين): الأعمال: 1 : 130. و(على دربند): الأعمال: 1 : 162.
- (7) قصيدة: (يوم فلسطين): الأعمال: 2 : 372، و(فلسطين): الأعمال: 3 : 529، و(فلسطين الدامية): الأعمال: 1 : 208.
- (8) قصيدة: (فلسطين والأندلس): الأعمال: 3 : 529.
- (9) قصيدة: (الجزائر): الأعمال: 4 : 679.
- (10) قصيدة: (إلى الشعب المصري): الأعمال: 4 : 584، و(الدم الغالي): الأعمال: 4 : 624. و(بور سعيد): الأعمال: 4 : 686.
- (11) قصيدة: (في الثورة السورية): الأعمال: 1 : 150، و(إلى القوتلي): الأعمال: 4 : 607.
- (12) قصيدة: (لبنان يا خمري وطيب): الأعمال: 5 : 754. و(ناغيت لبنان): الأعمال: 3 : 494.
- (13) قصيدة: (تونس): الأعمال: 3 : 413.
- (14) قصيدة: (الوحدة العربية الممزقة): الأعمال: 1 : 89.
- (15) قصيدة: (ذكرى الهاشمي): الأعمال: 1 : 367. و(في أربيعين السعدون): الأعمال: 1 : 228.
- (16) قصيدة: (شهيد العرب): الأعمال: 1 : 182. و(فصل السعود): الأعمال: 2 : 282.
- (17) قصيدة: (جمال الدين الأفغاني): الأعمال: 3 : 429.

لمواقفهم الخالدة، بل اتخذ من شعره وسيلة للتعبير عن أفكاره الإنسانية والألمية⁽²⁾. إذا أن الجواهري تاريخ كبير، وحياته في الشعر امتداد للحياة السياسية في العراق والوطن العربي والعالم⁽³⁾، فشعره تسجيل صفحات من تاريخ العراق الحديث، من خلال شاهد تعد تجربته الشعرية أكبر من عمر العراق المعاصر⁽⁴⁾، ((فشعره مصدر مهم لدراسة تاريخ العراق السياسي في (القرن العشرين)، كما وجدنا ذلك في أشعار (الرصافي)، إلا أن أهمية شعر (الجواهري) التاريخية، تفوق أهمية شعر (الرصافي) التاريخية لنزوع الأخير إلى الأفكار المثالية، وإكثاره من الأسلوب المباشر، الأمر الذي يوجه القارئ إلى النهوض والارتقاء فوراً))⁽⁵⁾. ونحن في بحثنا هذا سندرس في المواضيع القادمة، -وفي ضمن الفصول المختلفة- أبرز المحطات السياسية في حياة الشاعر (محمد مهدي الجواهري).

الاحتلال البريطاني للعراق

أخذت فكرة احتلال الدول العربية تحتل مكانا بارزا في الفكر الأوربي، منذ النصف الأول من (القرن التاسع عشر)، حتى بداية (القرن العشرين)، وبدأت بترسيخ نفوذها فيها تمهيدا للسيطرة عليها. إن بدايات النفوذ (البريطاني) في العراق يرجع إلى سنة (1820) حينما ادعى أحد الموظفين البريطانيين، وهو المستر (ريج) بأن لبريطانيا حقوقا أقرتها أسطنبول⁽⁶⁾؛ لأنّ مصالح بريطانيا لا تنحصر في الخليج، بل تشمل بغداد. ((فمن الخطأ أن نفترض أنّ مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج، إنها منحصرة بالمنطقة الواقعة ما بين البصرة وبغداد، وإنّما تمتد شمالا إلى بغداد نفسها.))⁽⁷⁾، وذلك لتأمين مواصلاتها بين الهند وبغداد⁽⁸⁾، ولتنقيب الآثار وسرقتها⁽⁹⁾، ولوجود آبار نفط غزيرة بغية نهبها⁽¹⁰⁾، وتحقيقا لتلك الأطماع تحركت القوات البريطانية من البحرين باتجاه البصرة، فاحتلت (الفاو)⁽¹¹⁾؛

(1) قصيدة: (في ذكرى غاندي): الأعمال الكاملة: 5 : 741. و(زوربا): الأعمال الكاملة: 5 : 919.

(2) قصيدة: (فرصويا): الأعمال الكاملة: 5 : 846. و(ستالنغراد): الأعمال الكاملة: 3 : 400.

(3) ينظر: الجواهري ذكريات أيامي: 4.

(4) ينظر: الجواهري جدل الشعر والحياة : 11.

(5) الشعر العراقي مرحلة وتطور: د.جلال الخياط: 104. دار صادر-بيروت-1970.

(6) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 231، وينظر: مقدمة في دراسة العراق المعاصر: د.زكي صالح: 9 : مطبعة الفرات: بغداد: 1953.

(7) العراق دراسة في تطوره السياسي: فيليب إيرلاند: 24. مطبعة الكشف: بيروت: 1949. ترجمة جعفر خياط.

(8) ينظر: النظام السياسي في العراق: د.محمد عزيز: 41. مطبعة المعارف: بغداد: 1945. وينظر: على طريق الهند: عبد الفتاح إبراهيم: 63، مطبعة الأهالي: بغداد: 1932.

(9) ينظر: المصدر نفسه: 333. ((إن كنوز العراق هي التي تدفع الغزاة لاحتلالها)) تاريخ العنف الدموي في العراق: 171.

(10) ينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: عبد الرحمن البزاز: 65، مطبعة العاني: بغداد: 1967.

وينظر: تاريخ العراق السياسي الحديث: عبد الرزاق الحسني: 54.

(11) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 21.

وذلك بحجة حماية مصافي النفط في (عبادان)⁽¹⁾. وكانت أحداث الحرب العالمية فرصة سانحة أمام الانكليز لاحتلال مدينة البصرة⁽²⁾. وبعد أسبوعين من احتلال (الفلو) دخلت بريطانيا البصرة دون أية مقاومة⁽³⁾ بعد انسحاب الأتراك في (1914)، ومن ثمّ أسرعوا في وضع الخطط اللازمة، لاحتلال المدن العراقية الأخرى⁽⁴⁾، ثم حدثت ((معركة (الشعبية) و(العمارة) و(الناصرية) ومعركة (الكويت) وعصيان (النجف) و(كربلاء) و(الحلة) وسقوط (السماعة)، ثم معركة (سلمان باك)، ثم سقوط بغداد))⁽⁵⁾، فتم الاستيلاء على جميع المدن باستثناء (الموصل)⁽⁶⁾، وبكى العراقيون السلطان (عبد الحميد)⁽⁷⁾، ((لأنّ الشعب العراقي تربطه بالعثمانيين رابطة الدين، على عكس الغزاة الجدد، الذين لم يكونوا على دين ملتهم، وهذا ما أوجب ضعف الترابط بينهم وبين الشعب منذ البداية، بل جعلت النفرة منهم، وسيطرت على قلوبهم الكراهية والغضب من هؤلاء الدخلاء))⁽⁸⁾ لذا وقف العراقيون في الذود عن حماهم، فانضمت قوات المجاهدين إلى الجيش التركي، وذهب (الحبوبي) بنفسه إلى المعركة، ولم يعد إلا بعد أن خسر العثمانيون المعركة.

أما (صالح الحلي)، فقد كان يحرض الناس في بغداد ويحثهم - بحماسة المعهودة التي عرف بها - على مقاومة المحتل⁽⁹⁾، حتى سقطت بغداد بأيديهم في: (11 مارس 1917)⁽¹⁰⁾، ودخل الجنرال (طومسون) بغداد وأصبح حاكماً لها، ((وكان في استقباله القنصل (الأمريكي) و(الإيراني) و(حاخام اليهود)، وعدد من الأعيان والتجار، وهم يحملون عريضة يطلبون فيها الإسراع باحتلال بغداد، لإنقاذهم من عبث الغوغاء))⁽¹¹⁾، ورفع العلم فوق (برج الساعة) في ساحة القشلة⁽¹²⁾، وكان اليهود أكثر الناس فرحاً بدخول

-
- (1) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق : 275.
 - (2) ينظر: العراق في دوري الاحتلال: والانتداب: عبد الرزاق الحسني 1 : 112. صيدا: 1974.
 - (3) ينظر: سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق: خوله طالب: 83. مطبعة الأنيب: بغداد: 2003، للتفاصيل عن مراحل الاحتلال البريطاني للبصرة يراجع: حرب العراق (1914- 1918): شكري محمود نديم : 22 - 33. مطبعة البرهان: بغداد: 1964. ويراجع (البصرة في ظل الاحتلال البريطاني): حميد أحمد حمدان : 589 - 604. رسالة ماجستير : كلية الآداب، جامعة بغداد ، 1975.
 - (4) ينظر: ثورة العشرين في الشعر العراقي: د. إبراهيم الوائلي : 71. مطبعة الإيمان: بغداد: 1968.
 - (5) تاريخ العنف الدموي في العراق: 275.
 - (6) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 21.
 - (7) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق : 274.
 - (8) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 58.
 - (9) تنظر: جريدة العرب: (العدد) 19 تموز 1917. وينظر: العراق في دوري الاحتلال : 1 : 12.
 - (10) ينظر: تاريخ العراق بين احتلالين: عباس العزاوي: 8 : 305. شركة الطباعة والنشر: بغداد: (بلا تاريخ). وينظر: تأريخ العنف الدموي في العراق : 270. وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 4 : 332.
 - (11) تأريخ العنف الدموي في العراق : 286 - 287. ((العراقيون وقفوا إلى جانب تركيا باعتبارهم مسلمين، غير أن الواقع وقفوا فعليا مع الانكليز، وانقلبوا على الأتراك، حيث هجموا ونهبوا المؤسسات)) المصدر نفسه : 274.
 - (12) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق : 4 : 333 ، وينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق : 286 - 287.

الانكليز، واعتبروا دخول (مود) إلى بغداد كدخول (كورش) إلى بابل⁽¹⁾ وألقى (مود) بيانه، بيانه، بأنهم جاؤوا محررين لا فاتحين، وأنهم يريدون إرجاع مجد العرب بتحقيق أطماعهم القومية⁽²⁾، ورفع شعار: يا أهل بغداد هيا تعاونوا معنا. وأخذ الانكليز يتوددون للناس، ويظهرون حبهم لرجال الدين، ويحمون المراقد المقدسة؛ لاستمالة الناس إليهم⁽³⁾ ولم يكن بيان (مود) إلا ضمن هذا الأسلوب السياسي؛ لاجتذاب العرب وتغييرهم من الترك، وذلك من خلال الصحف التابعة⁽⁴⁾ له، تلك الصحف التي كانت تروج للتحريض، ولإقامة حكومة وطنية للعرب كصحفية (جريدة العرب)⁽⁵⁾.

وقد تنكر الانكليز لجميع الوعود التي قطعوها على أنفسهم، وقد فضح (الرصافي) ألاعيبهم بقوله: ((أَنَّ الأجنبي يغري الرجل مَنًا، حتى يوصله إلى غرضه، ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء، ولا يعرف له حقا غير خدمته. إِنَّ بريطانيا لم تسيطر على نصف الكرة الأرضية بقوتها، بل بطرقها الخداعة، وما احتلالهم للعراق إلا لسرقة خيراته.))⁽⁶⁾ أين الحرية والاستقلال، فالانكليز هم المتنعمون بخيرات البلاد، المتنعمون في رقاب الناس، وأبناء العراق قد صاروا عبيدا لهم⁽⁷⁾ الشعب كله فقير؛ لأن أمواله باتت بيد الانكليز، وهم يدعون أنهم أصحاب حضارة⁽⁸⁾ وقد أنفقوا الملايين، فبنوا لهم في بلادنا معسكرات⁽⁹⁾. ((إِنَّ الانكليز مشهورون بالظلم المموه بالعدل، وغدر مغلف بالرافة،

- (1) ينظر: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق: يوسف رزق الله غنيمه: 1: 183، بغداد: 1924. ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 34.
- (2) ((إنا جنناكم محررين لا فاتحين وقد طرد العرب من الحجاز الأتراك والجرمان، الذي بغوا عليهم، ونادوا بعظمة (الشريف حسين) ملكا عليهم، وهو متحالف معنا، كما تحالف أشراف العرب وأمراء (نجد) و(الكويت) و(عسير)، فيا أهل بغداد، هيا للتعاون معنا لتحقيق أطماعكم القومية)). لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 4: 362. وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 57. وينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 291.
- (3) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 4: 347.
- (4) ينظر: الصحافة في العراق: روفائيل بطي: 51. القاهرة: 1955. ينظر: تاريخ القضية العراقية: محمد مهدي البصير: 74، بغداد: 1923. وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 5: 41.
- (5) وقد شارك عدد من أدباء العراق في تحرير تلك (الجريدة) أمثال: (جميل صدقي الزهاوي) و(محمد مهدي البصير)، وكانوا ينشرون نتاج أقلامهم في (الجريدة) بأسماء مستعارة باستثناء (الزهاوي)، ومما ينبغي ذكره أن الشعراء عندما توفي الجنرال (مود) بكوا عليه، ورثوه بقصائد عصماء، ونشروها في تلك الصحيفة، وقال أحدهم في وصف (مود): بأنه بحر لجود المكرمات، وأن عين الفخار فاضت لفجيئته دما. ووصف الرصافي مود: بأنه من أكابر الرجال. ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 4: 378. وتنتظر: جريدة العرب في (عدها) الصادر في (8) كانون الأول: 1917. وينظر: معروف الرصافي: قاسم الخطاط ومصطفى السحرتي ومحمد الخفاجي: 129. القاهرة: 1971. وتنتظر: مجلة الأستاذ: (العدد) 39، 23 (مايو): 1893.
- (6) الرسالة العراقية في السياسة والدين والاجتماع: معروف الرصافي: 183، منشورات الجمل: ألمانيا: 2007.
- (7) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 133.
- (8) ينظر: المصدر نفسه: 143.
- (9) ينظر: الرسالة العراقية: 129.

ظاهرهم رحمة، وباطنهم عذاب، وإذا أردت ذلك فانظر إلى استقلال العراق الكاذب.))⁽¹⁾ فمعنى الاستقلال: هو أن يكون الشعب حراً منفرداً لا يشاركه أحد أي لا يقبل الشركة من الأجنبي، وإذا كان الاستقلال لا يقبل مرور طائفة في أجواء الدولة، فكيف بمن بنى القواعد⁽²⁾، وذهب الانكليز إلى أبعد من ذلك، حيث عمدوا إلى تفتيت المجتمع باستيرادهم قوانين سميت بـ (قوانين المناطق العراقية المحتلة)⁽³⁾ ليتسنى لهم البقاء في العراق أطول مدة ممكنة، غير أن الشعب العراقي لم ير بداً من الإعداد (للثورة) فكانت (ثورة: 1918)⁽⁴⁾ وتلتها ثورات⁽⁵⁾ أخرى ستحدث عنها في حينها.

وجدير بالذكر أنّ هذا الوعي الديني التحرري⁽⁶⁾ كان إلى جانبه نشاط سياسي من قبل الأحزاب العراقية الوطنية مثل: حزب العهد العراقي، وحرس الاستقلال في بغداد⁽⁷⁾ فعلى الرغم من الثورات المتكررة، والمظاهرات العنيفة، لم يستجد شيء في أحوال العراق العامة، إلا تعاضم الوعي القومي الذي أفهم به العراقيون الانكليز بأنهم قوة⁽⁸⁾. وبقي وبقي العراق محتلاً من قبل بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وإلى (1947)⁽⁹⁾ وقد ذكر (هنري فوستر): ((إنّ الضحايا البريطانية بلغت (مائة ألف رجل) والخسائر المالية تقدر بـ(مائتي مليون) باون إسترليني))⁽¹⁰⁾.

الجواهري والتنديد باستعمار

منذ اليوم الأول من الاحتلال البريطاني، عبر الشعراء عن معارضتهم للاستعمار، وبشكل واضح لا غموض فيه⁽¹¹⁾، فوقفوا إلى جانب الدولة العثمانية والدّب عنها وحمائيتها والدفاع عنها⁽¹²⁾، وقد مضت هذه الروح تحتل شيئاً فشيئاً حيزاً كبيراً من الشعر السياسي،

-
- (1) الرسالة العراقية: 131.
 - (2) ينظر: نفسه: 68 : 69 : 70.
 - (3) ينظر: تاريخ مقدرات العراق السياسية محمد طاهر العمري: 3 : 4. المطبعة العصرية: بغداد: 1925.
 - وينظر: العراق دراسة في تطوره السياسي: فيليب إيرلاند: 50. مطبعة الكشاف: بيروت: 1949.
 - (4) ينظر: محاضرات عن تاريخ العراق: البزاز: 32. جامعة الدول العربية: القاهرة: 1955.
 - (5) ينظر: العراق في دوري الاحتلال: 1 : 39. وينظر: العراق دراسة في تطوره السياسي : 204.
 - (6) ينظر: محاضرات عن تاريخ العراق: 32.
 - (7) ينظر: مذكراتي عن الثورة العربية والعراقية: تحسين العسكري 2 : 99. مطبعة الغري: العراق: 1938.
 - (8) ينظر: السياسة الدولية في الشرق الأوسط: كونيش رايت: 117 ، 121 ، ترجمة جعفر الخياط: أنجلو مصرية: القاهرة: 1953.
 - (9) ينظر: التطورات السياسية في العراق: جعفر عباس حميدي: 103. مطبعة النعمان: النجف: 1976.
 - (10) تكوين العراق الحديث: هنري فوستر: 85. ترجمة عبد المسيح جويذة. مطبعة الشعب: بغداد: 1938.
 - وتاريخ العراق السياسي الحديث: 1 : 58. ومقدمة في دراسة العراق المعاصر: 10.
 - (11) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 38.
 - (12) مجلة العرفان: العدد 748: لسنة 1911. وينظر: الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية فيه: د.يوسف عز الدين: 137 -178. المطبعة القومية : القاهرة: 1965.

حتى لدى المحافظين منهم⁽¹⁾؛ فالشعراء ناصروا الشعب، وفضحوا الأمور، وكشفوا ألياب المستعمر⁽²⁾ مؤكدين الوجود الإسلامي الذي هو تأكيد للوجود الوطني⁽³⁾. ومن أجل أجل ذلك ((دخلوا في صراع حاد مع القوى الاستعمارية، وكان هذا الصراع يهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق غايتين هما، الاستقلال والحرية))⁽⁴⁾. إنَّ الشعراء كانوا مدركين مدركين تماماً قبل غيرهم، ((أنَّ الاستعمار سياسة دول تفرض حكمها على دولة أخرى، لأغراض اقتصادية وعسكرية وعقائدية، فضلاً عن تأسيس وتوسيع إمبراطوريتها))⁽⁵⁾، لذا لم يكن بمقدور الشاعر أن يقتنع بسهولة بأنَّ بريطانيا منحت العراق استقلاله بعد تشكيل (الحكم الوطني)، لاسيما هي تلك الدولة العريقة في الاستعمار. إذن لابد في الأمر شيء، وهو أن يتظاهر الانكليز برغبتهم في منح هذا الاستقلال، ثم يختبئوا وراء المسرح؛ ليجعلوا الحكام يمثلون أدوارهم المرسومة، ليجد الشاعر برغم كل الادعاءات الكاذبة، أنَّ شعبه يبرز تحت كابوس الاستعمار⁽⁶⁾ يستنزف دماؤه ويبتز خيراته، ثم هو بعد هذا وذاك يلجم صوته بالكبت والغلبة، فاستباحة الأرض والعرض دفعت الشاعر إلى ارتدادات تقوم على أساس صراع مزدوج في ضمن حركة ذاتية باطنية انعكاسية متسمة بالتمزق اتجاه المستعمر من جهة، والشعور الوطني الذي يصل- نتيجة عوامل داخلية وخارجية- إلى حد الذوبان والانصهار في الرمز (الوطن) من جهة أخرى، فعندئذ تقوم بين الشاعر ورمز عاطفته علاقات من الحب والإخلاص، ثم النضال والفداء. إذا أنَّ الوطنية هي: ((شعور ذاتي يرضخ الإنسان بموجبه إلى دوافع نفسية، ومنازع ذاتية يتألب فيها مع المجموعة البشرية المنتمي إليها تالبا وجدانيا انفعاليا))⁽⁷⁾ وبذلك تحول الشعر بعد الاحتلال من الهمم الإسلامي، إلى الهمم الوطني، فأفرزت تلك الأحداث نمطا جديدا من الشعر، لا يعرفه تاريخ الشعر العربي من قبل، ألا وهو (الشعر الوطني)⁽⁸⁾.

إنَّ الجواهري قد جسد مفهوم الوطنية في شعره في ضمن المحاور الآتية: صيحات التنديد المتجهة نحو مكافحة المستعمر، وصيحات الاستنهاض، المتجهة نحو الشعب، بغية القيام بالثورة، وأنَّ الحب الوطني العارم هو الدافع الحقيقي وراء تلك المسارات المتعددة، كما في قصائده (أزف المولد)⁽⁹⁾ و(شهيد العرب)⁽¹⁰⁾ و(ذكرى دمشق الجميلة)⁽¹¹⁾ و(من دفتر دفتر الغربة)⁽²⁾ و(في ذكرى الخالصي)، وفيها يقول:

(1) ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: 14.

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 62.

(3) ينظر: تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 157.

(4) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 347.

(5) المعجم السياسي الحديث: 210.

(6) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 196.

(7) البعد النفسي بين التمزق والصراع في ديوان (أبو القاسم الشابي): د. عبد السلام المسدي: 16. مجلة الطليعة الأدبية: العدد 24، 6 شباط: 1985.

(8) ينظر: في رحلة الفكر والتجول: 17.

(9) الأعمال الكاملة: 4 : 720.

(10) الأعمال الكاملة: 1 : 182.

ولسوف أرجع كرتي فاقول
مشلولة وحسامه مغلول
او ينهض فبذلّة مغلول
فأننا الذي ببلاده مشغول
ورضابه من دجلة معسول⁽³⁾

قد قلت فيك وقلت ثاني مرة
أما العراق، وقد قضيت، فكفّه
إن ينهض فيقوّة مستغلب
إنني إذا شغل الغرام متبّلا
وطن جميل، وجهه بغداده

فهو يكشف لنا ما في العراق من سوء حكم وإدارة، وأنّ حسامه مغلول وكفه مشلولة؛ لهيمنة المستعمرين. فالجواهري- وكما يقول الدجيلي- ((لو ترك على سجيته، فخطه الوطني العارم لا غبار عليه، وجلّ شعره أقوى شاهد على هذا الادّعاء، إلا أنّه في بعض الحالات يتيامن أو يتياسر نتيجة لأحوال نفسية وترسبات اجتماعية.))⁽⁴⁾.

يعد الجواهري معلما كبيرا، في الحلم والشعر والحياة والحرية والكفاح من أجل الاستقلال الوطني⁽⁵⁾. لقد تمثل الإحساس بالتمرد السياسي لدى الجواهري، في معاداته للاستبداد والاحتلال⁽⁶⁾ على خلاف من أقرانه⁽⁷⁾. ويفتخر الجواهري بأنّ الفضل في ذلك يرجع إلى (الشبيبي) و(الخراساني) اللذين حاربا الانكليز⁽⁸⁾، وقد حمل الجواهري بشدّة على أولئك الذين يدعون الإصلاح زمن الاحتلال وليس في نهجهم ما يندد بالمحتل، أو ما يخلد من قريب أو بعيد دماء أبنائه. وما قيمة الثقافة التي تبكي البلاد، وتضحك المستعمر. ففي قصيدة (إلى الشعب المصري) يقول:

تتطوّر الدنيا ولا يتطوّر
مستعمرا فيها بشرّ يُذكر
من خلقة الجيل الجديد تصوّر
فوق الطروس عيبره المتشّير

تمضي السنون وكل شيء جامد
راجعت ما نهج الدّعاة فلم أجد
ووجدت كفّ الأجبيّ كما اشتهت
ودم الضحايا فيه عّق فلم يسيل

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 157.

(2) الأعمال الكاملة: 5 : 759.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 155.

(4) الجواهري شاعر العربية: 81.

(5) ينظر: لتذكر الجواهري: 7. دار المدى للثقافة والنشر: بغداد: 2007.

(6) ينظر: الجواهري من المولد حتى النشر في الجرائد: د. علي جواد الطاهر: 42. مقدمة الأعمال الكاملة.

وينظر: لغة الشعر الحديث في العراق: 316.

(7) الزهاوي يحيي رمز الاحتلال (السير بيرس كوكس)، ويضع ديوانا حافلا بالترحيب بـ (الملك فيصل).

وأنّ الشعراء الذين مدحوا العثمانيين، هم أنفسهم الذين مدحوا الانكليز، غير أن بعضهم غير في مواقفه نتيجة الأجور الزهيدة التي يتقاضاها، مقابل الخسارة المعنوية الكبيرة التي تصيبهم جرّاء مدحهم الانكليز، وكان الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) قد ضرب الرقم القياس في ذلك. هذه المواقف الأزدواجية قد حيرت (المس بل) فأقنعها الملك (فيصل) بأنّ هذا السلوك مألوف لدى العراقيين، وسببه أنهم رزحوا تحت وطأة المستعبدین طيلة (ستمان) سنة. ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 4 : 274، 372. وينظر: الشعر العراقي الحديث: 113.

(8) ينظر: مذكراتي: 1 : 76.

ولمن تراد ثقافة من أمرها تبكي البلاد، ويضحك المستعمر⁽¹⁾

فهو قد تحمل وزر المحتل منذ صغره، فقد اكتشف أنه في قفص السيطرة التركية والاحتلال البريطاني، فعشق الحرية؛ لأنها تمثل له الخلاص وبدأ مسيرة حلمه⁽²⁾، يقول الجواهري: ((دخلت الخلافة العثمانية طور السقوط بما كانت تقوم عليه من إنكار خصائص وكيانات كل القوميات... فتحرر دول البلقان، حفزت المشاعر الوطنية والقومية والتحررية، وخاصة لدى الشباب العربي. هو أي وقلة من أمثالي من الشباب كنا الواعين المتتبعين لأحداث انحسار العهد العثماني وما أعقبه من عهد الاحتلال البريطاني))⁽³⁾، كما كما شاهد الجواهري حصار (النجف) من قبل بريطانيا وسماه بـ (التمرد الوطني) ويقول: ((كنا ونحن (شلة) في الطليعة من المهتمين بأمثال هذه الأمور، أو بما يتضح لنا ونحن في الصميم منها))⁽⁴⁾، وقد أدى الجواهري أدوارا وطنية تتسجم مع سَنه، وقد تولى بنفسه مهمة إصاق المنشورات على أبواب (الصحن) تندد بالاحتلال⁽⁵⁾، ((ونشر قصيدتين في جريدة: (الاستقلال) عام (1921)، وكان عندئذ ابن (ثمانية عشر) عاما.))⁽⁶⁾، فعلى الرغم من الاتجاه (العلماني) الذي كان يدين به الجواهري، كان على يقين تام، بأن المستعمرين حاقدون على الإسلام، فهم يسرجون الخيول لإذلال العباد، وتدمير البلاد؛ لأنهم لم ينسوا بعد (عمورية) و(قرطبة) و(إشبيلية)، يقول الجواهري في قصيدة: (في ذكرى الخالصي):

يا شرق يا مهد السلام ألم يئن	أن يستطير إلى السلام رسول
إن يسرج المستعمرون خيولهم	فلهم تراث جملة وذخول
أو تنس (عمور) وما دفعوا بها	لم تُنس (قرطبة) ولا (إشبيل)
مخرت بأشباه البحور سفائن	وعدت بأمثال الصقور خيول ⁽⁷⁾

وفي موطن آخر يجد الجواهري نفسه عاجزا ليس بمقدرته دفع ما كان، ولكن من دون أن يستسلم أو يلين فيقول في قصيدة (ولي لأمة العرب):

صولوا بعزم ليس يصدأ	حدّه، والسيف يصدا
بالرغم أنني لا أطيق	لما دهني وطني مرّدا
لا تأسفنّ وطني وكن	ثبتا على الأيام صلدا ⁽⁸⁾

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 589.

(2) ينظر: طائر النجف لم يتوقف عن الحلم: د. محمد سليمان: 17. مقال في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل). وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 168.

(3) مذكراتي: 1 : 94.

(4) نفسه: 95 - 102.

(5) ينظر: الجواهري ذكريات أيامي: 41. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة : 28. وتنتظر: جريدة جريدة (طريق الشعب): 8، العدد (1) آب لسنة 1966.

(6) الجواهري شاعر التجديد والثورة: 28.

(7) الأعمال الكاملة: 1 : 156.

(8) الأعمال الكاملة: 1 : 153. والجواهري شاعر العربية: 328.

بعد أن يفرغ الجواهري من مناجاة وطنه - الذي ذاب فيه وجدا- يخاطب أبناءه، الذين رضوا بظلم المحتل وبقسوته، بأن يخلجوا من زيارة قبور الأجداد؛ لأنهم ضيعوا المجد الذي صنعوه في التاريخ فيقول في قصيدة: (الوحدة العربية الممزقة):

يا نائمين على الأذى لا شامكم	شام، ولا بغدادكم بغداد
تلك المروج الزاهرات تحولت	فخلا العرين وصوّح المرتاد
هضمت حقوق، ذوي الحقوق وضيعت	تلك العهود وخاست الأساد
أعزز على الأجداد وهي رمائم	أن لا تعز تراثها الأحفاد ⁽¹⁾

ولما لم يجد الجواهري صدى لدعوته في الأحياء، توجه إلى (النعمان بن المنذر) أحد رموز المجد العربي، مخاطبا إياه بقوله:

بلاذك يا (نعمان) سل كيف أصبحت	فغيرك ليس اليوم عنها بسأل
فلا تحسبن أن العروبة معقل	منيع؛ فقد أضحت نهبا لدخال
خليلي باع الناس بخسا بلادهم	فمالي وحدي سمتها الثمن الغالي ⁽²⁾

فهو في ذلك يشير من طرف خفي إلى الملك (فيصل) مطبقا المثل العربي (إياك أعني واسمعي يا جارة)، ويبدو أن الجواهري كان يسلك في خطابه التحريضي مبدأ التدرج، وكلما طال أمد الاحتلال، اشتد الجواهري غيظا على المحتل وأذنا به، فينعكس ذلك في شعره، حتى بات يعرف بأنه ((شاعر ثائر على الاستعمار، وعلى الظلم والاضطهاد .. فكان بذلك صوتا حرا، جريئا ترتجف له قلوب المستعمرين.))⁽³⁾ ولون الجواهري خطابته الأدبية في المخاطبين، علّه يجد من يناصره الموقف أو ينصفه القول، كما استمر في الوقت نفسه يخز (الملك) في قصائده؛ كي يستنهض هممه ويشد من أزره، فنظم قصيدة (أمان الله)⁽⁴⁾ يستذكر الملك (الأفغاني) بأن لا يلين، وفي الوقت نفسه يؤيد الانقلاب الذي أطاح به، ليوحي إلى (الملك) بأنه يعشق التغيير، وأنه يحمل في دواخله صراعا خفيا معه ستكشف عنه الأيام⁽⁵⁾، ثم راح يسدد سهامه في الأبيات الأخرى من القصيدة إلى جسد المحتل، وبقيت صور الشاعر ناقصة اتجاه (ملكه)، ولم تكتمل أطرها إلا في قصيدة: (الملك والانتداب)، إذ يقول فيها:

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 89.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 107.

(3) الأعمال الكاملة: 6 : 1067. (الهامش)

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 202، 201.

(5) ينظر: مذكراتي: 1 : 202.

وعلى مَنْ التَّاج الملمَّع باد
 تُرجى ليوم كرهية وسداد
 وامدّد لسوريا يد الإسعاد
 أو لست ممن أفصحوا بالضاد؟
 لا تتركّن وطني بغير سناد
 تشكو إليك نكايّة الأصفاد
 أم الخلائف مرقّد الأسبيد
 حتى استثار كوامن الأحقاد
 لا تخلّوا الأجداد في الأحفاد⁽¹⁾

لمن الصفوف تحفّ بالأمجاد
 يدعوك للأمر الجليل ولم تزل
 فكّ العراق من الحماية تحيه
 صرّح لهم بالضدّ من آمالهم
 قم ماش هذا الشعب في خطّواته
 هذي الرقاب ولم تعود ذلة
 ولقد شجاني أن ترى في مائهم
 سل عن تشرشل كيف جاذبه الهوى
 هذا تراث السالفين وديعة

يقول الدجيلي: ((الأول مرة يطلع الجواهري بقصيدة سياسية واضحة الاتجاه، فيها جرأة بأفكار متسلسلة بروح وطنية عالية وثابة))⁽²⁾. ويلاحظ فيها بوضوح تطاول الجواهري -وبصريح العبارة- على الملك بأنّه غير صريح في تعامله مع المستعمرين، ويدعوه للوقوف ضدهم والتنديد بمواقفهم، وذلك من خلال أساليب الطلب المزدحمة بين أثناء القصيدة، والمتنوعة بين الاستفهام والأمر والنهي، كما في قوله (لمن الصفوف). (على مَنْ) (ومن المحلى). (فكّ العراق). (وامدّد لسوريا) (عجبا تروم) (صرّح لهم بالضد). (أولست ممن). (قمّ ماش هذا الشعب). (لا تتركّن وطني) (سل عن تشرشل) (هيهات من دون الذي). (لا تخلّوا)، تكاد القصيدة من أولها إلى آخرها تدور في فلك تلك الأساليب. ومعنى ذلك أن الشاعر بدأ يمهّد لمرحلة جديدة من الصراع مع السلطة، تتمثل بالتعامل الفوقي المتسم بالأنفة والكبرياء معها، ((فهو في ذلك كمن يرمي حجرا في بركة، يرى إن كان يستطيع أن يطفو على سطحها سابحا أو أنها ستبتلعه فيغرق فيها))⁽³⁾، فيها))⁽³⁾، وفي قصيدة أخرى يقول الجواهري

وسكتنا حتى اتهمنا بعبي
 وإذا كلّ رشدنا مثل غي
 فصبرنا على احتكام الوصي⁽⁴⁾

قد نطقنا حتى زُمننا بهجر
 فإذا كلّ يومنا مثل أمس
 وعلمنا أن ليس نملك أمرا

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 83.

((نشرت القصيدة في يوم (عيد الفطر) عام(1922) إثر تصريح (تشرشل) وزير المستعمرات البريطاني آنذاك، بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني، وكان يوما مشهودا، حيث أعلن الإضراب العام، وقد امتنع فيه العراقيون عن المعايضة.)) نفسه.

(2) الجواهري شاعر العربية : 206.

(3) الجواهري دراسة ووثائق: 58.

(4) ديوان الجواهري: 1 : 222.

وتحوّل الجواهري في شعره تحوّلًا كبيرًا في مرحلة (الثلاثينات)، حيث اتسم بمزيد من الجرأة المتمثلة بالتدديد بالاستعمار وأذنبه من الحكام⁽¹⁾، كما في قصيدة: (في سبيل الحكم)⁽²⁾، ولعل الزيارة التي مثّل فيها الجواهري الوفد الإعلامي إلى (لندن)، خير دليل على معاداة الجواهري (لبريطانيا)، فقد تلاسن مع (مكماهون) في من هو أب القضية الفلسطينية، هو أم (الشريف حسين) متقصدا بأن يحط من قدره، ويقلل من شأنه، قائلا له تدّعي بأنك رجل مهم في العراق، فإذا أنت كذلك، فلماذا لا يهتم بك أحد هنا؟ ثم قاطع الجواهري الوفد بسبب أنّ أحد (أعضاء) الوفد مدح (بريطانيا)، وأصدرت (بغداد) عليه منعًا لدخول بريطانيا ثانية⁽³⁾، غير أنّ تلك الإجراءات لم تردع الجواهري عن قول الحقيقة الحقيقة لوكالة (رويتير) - وعلى الهواء مباشرة - عندما سئل عن رأيه بـ (بريطانيا) فقال: إنّها قذرة⁽⁴⁾، ووصف الجواهري تلك الإقامة بالثقلية، حتى أنّه كان يعد فيها الأيام والساعات⁽⁵⁾، وقد وصف إقامته بلندن كمقام العذاري بدور الزنا أو كمقام (المسيح) بين (اليهود)، إذ يقول في قصيدة، (مقطّعات من لندن):

ملألت مقامي في لندن مقام العذاري بدور الزنا
مقام المسيح بدار اليهود مقام العذاب، مقام الضنى⁽⁶⁾

يقول الجواهري: ((أبغض (بريطانيا)، لأنها جرّت الولايات على العراق))⁽⁷⁾ فهي خصم لوطني منذ ثورة العشرين، وأنا أحرّض عليها⁽⁸⁾ ويتجلى ذلك في الحفل المهيّب، الذي أقامته الحكومة العراقية (لبشارة الخوري) رئيس جمهورية (لبنان) - وبحضور (عبد الإله) - حيث هاجم الجواهري (بريطانيا) واصفا إياها بـ (الحنظلي)؛ لأنها مشهورة بالكذب، فغضبت السفارة البريطانية وقدّمت احتجاجها⁽⁹⁾، كما في قصيدة: (ناغيت لبنان):

وثرى صلاح الدين ديس وانعلت منه جيوش الواعلين خيولا
و(الحنظلي)⁽¹⁰⁾ بجلفه ووعوده مازال كاذب وعده ممطولا⁽¹¹⁾

كما زاد من هجومه على بريطانيا عبر إذاعتها، عندما طلبوا منه زيارة (فلسطين)؛ لإلقاء بعض قصائده عبر الإذاعة البريطانية، فاشتراط عليهم أن يكون حرًا فكانت (نصف)

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 90.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 340.

(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 457، 472.

(4) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 73.

(5) ينظر: مذكراتي: 1 : 43.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 490.

(7) مذكراتي: 1 : 457.

(8) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 370.

(9) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 477، 478، 479.

(10) الحنظلي: يريد به (المستعمر البريطاني).

(11) الأعمال الكاملة: 3 : 494 ؟

قصاصه ضد بريطانيا⁽¹⁾، كما أنّ الجواهري أول من أشار في (صحيفته) إلى وصول قوات قوات بريطانية إلى العراق عام (1946)⁽²⁾ وإلى ذلك يشير في قصيدته: (يا بنت رسطاليس): رسطاليس):

قالوا: قواعد يبتنيها غاصب وسط العراق على الكرامة قاعدا
تحتل منه مشارفا ومناهلا وتسدّ منه مسالكا ومنافدا
سأقت جيوش الموبقات حواشدا للرافدين مع الجيوش حواشدا⁽³⁾

ودعا الجواهري إلى تشكيل جبهة وطنية، تطالب بجلاء جيوش الاحتلال، وإلغاء معاهدة (1930)، ومنح العراق الاستقلال الحقيقي⁽⁴⁾. لقد كثّف الجواهري جهوده الأدبية؛ لفضح مخططات الاستعمار في الشرق، معريّا في الوقت نفسه- أفكارهم الدنيئة، وأفعالهم الشنيعة، فيقول في قصيدة: (أنشودة السلام):

نابّ من الوحش مسعورا أطيح به وفي البرائن منه لم يزل ظفر
مقلّم في غد خزيان منتفخ مما تقفّح من خبث به الوضر
تأبى الحضارة أن يجتاحها أشر وأن يدبّح من أبنائها بطر
وأن تموت لتبقى طغمة، زُمَر وأن تُباد ليهنأ غاصبٌ أشر⁽⁵⁾

لقد كان الجواهري مدركا لحقيقة الاستعمار لذا كان يذكر الشباب دوما بنواياهم الدنيئة، كما في قصيدة: (أرج الشباب):

وتذكروا المستعمرين فإنهم سوطٌ على هذه البلاد وخُوب
فتفهموا أنّ العراق بخيره وثرائه، لطغامهم منهُوب
وتميزوا فهناك وجهٌ سافرٌ منهم، وآخر بالخنا محجوب⁽⁶⁾

-
- (1) ينظر: تدايات عن المدن والرجال في حديث غير منشور عن الجواهري: محمد علي فرحات: 48. مقال مقال في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل). وينظر: مذكراتي: 427.
- (2) تنتظر: جريدة الرأي العام (العدد) 1557، 19 حزيران لسنة 1946. وتنتظر: وجريدة صدی الدستور (العدد) 1 أب: 1946. وينظر: التطورات السياسية في العراق : 444.
- (3) الأعمال الكاملة: 3: 476.
- (4) ينظر: التطورات السياسية في العراق: : 165.
- (5) الأعمال الكاملة: 3: 724.

لم يقصد بذلك الاستعمار البريطاني فحسب، بل كل مستعمر - أينما كان- لذلك نجد أنه تهجم على وزير خارجية أمريكا الذي قام بجولة في الوطن العربي وفي العراق، لتطويق العراق فاستقبلته الجماهير بالأحجار، وهجاه الجواهري في قصيدة: (تحية إلى رون تري) فيقول:

يارسول الشر والذنس وغراب البين في الغلس
فقتشور البيض جاهزة عليها تشفي من الهوس

الأعمال الكاملة: 4 : 718.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 460.

وفي قصيدة: (الشباب المر)، يكشف بشكل أوسع أساليب مكرهم وخداعهم، إذ إنهم باسم العدالة الكاذبة والحضارة المزيفة، يستعمرون الشعوب، وينهبون خيراتها فيقول:
لحقت فلسطين بأنلدس أسى
يسمو القوي، وذلك حكم لم يدع
نقضت موثيق الشعوب ممالك
باسم العدالة أبرمت إرهابها⁽¹⁾

ولما رأى الجواهري ما فعل المستعمرون بالشعوب الضعيفة من الهتك والفتك والسحق⁽²⁾ راح يناديهم بالوحوش الكاسرة، كما في قصيدة: (أيها الوحش):
تتحدى الجوع بالمفترس
تحت أستار الدجى والغلس
ونفايات الدم المنبجس
بفصاحات اللغى والمنطق
سكرات الموت من أنيابها
تبعد الساعة عن موعدها
قاذفات جمما ترتعد
صرخات الحقد تطوي المشرقين
زاحفات بالبطون الخاوية⁽³⁾

ويختتم الجواهري ما بدأ به قصائده، بأن حب العراق، هو الذي قاده إلى فلسفة: أن لا حياة مع المستعمر، إذ لا خيار إما الموت، وإما التحرير ففي قصيدة: (العلم والوطنية) يقول الجواهري:
ماذا يريد اللائمون فإنّه
سنذود عنه بعزم حُرّ صادق
لا يرتضي الا المنيّة منهلاً
وطن يُحب، وحبّه إيمان
منه ضميرٌ يستوي ولسان
أو منزل لا من دونّه كيوان

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 97.

(2) للجواهري قصيدة (عصماء) تندد بالغازي المحتل، وهي غير منشورة في دواوينه، ويقول فيها:
بم انتهى وعلى من راح ينتصر
بم انتهى، أبمن راحت تطارده
نصر على من؟ على بيت وربّه
تزعم النصر غول لم يجيء خطر
تمدد الشوط من عمري لبيطرنى
غول تصبغ فيه الناب والظفر
وسوف تدرجّه الأشباح والصور
وصبيّة وعجوز هذها الكبر
على البسيطة غول مثله خطر
ما ينكر السمع لو لم يشهد البصر

مجلة الشبكة اللبنانية: 33 : (العدد) الثالث، لسنة 2006.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 602، 603، 604.

بُنِست علاقة واغلين فإئما عيش الكريم مع اللئيم هوان⁽¹⁾

الجواهري والثورة على المستعمر

مرّة أخرى يقف الشعر، سلاحا ماضيا في وجه الأعداء. فبعد أن يؤس الشعراء من جلاء المحتل بدعوات التنديد، استخدموا أسلوب التحريض بالثورة على المحتل ((فوضوا بدهاء صورا من المذلة والمهانة؛ لعلها تستثيرهم، وتشحن عواطفهم، وتلهب عزائمهم، وتدفعهم إلى الكفاح والقتال))⁽²⁾. وبقي الشعر أداة فعالة تحرّض على الثورة والجهاد، فقد اتخذ الشعراء⁽³⁾ المناسبات مدخلا للدعوة إلى الثورة، ((فمنذ مطلع القرن العشرين ونتيجة ظروف الاحتلال واصطدام قواته بالشعب، كان الخيار واضحا أمام (الوطنيين) وأبناء الشعب، وهو الثورة ذات المضامين القومية، بما تحمله من معاني التغيير.. وفي دلائل النهضة الشاملة، وجدنا الشاعر يحترق فؤاده في لهبها، وتتفجر عبقريته على أزيز الرصاص، وعلى ضفاف أنهر دماء شهدائنا.))⁽⁴⁾، ومن أشهر شعراء هذه المرحلة: (محمد مهدي البصير) و(محمد رضا الصافي) و(ناجي القشطيني) و(عبد الكريم العلاف) و(عيسى عبد القادر) و(محمد مهدي الجواهري)⁽⁵⁾، الذي آمن بنظرية (حتمية انتصار الشعوب) في صراعها مع المحتل، وقد استمدّها من (الرؤية العلمية للثورة)⁽⁶⁾ إذا فقد تبين أنّ ما نادى به به الشعراء ضد الساسة والإقطاع والاستعمار إنّما كان بفضل الوعي الثوري، وقد قام بهذه المهمة على أكمل وجه الشاعر (الجواهري) الذي دعا إلى القضاء على الاستعمار ونيل الحريات بالقوة وتحقيق العدل⁽⁷⁾. وهو ما نسميه بالتفاؤل الثوري، ((وأعني به الثقة بحتمية انتصار الشعوب في نهاية الصراع، وتمتد هذه الثقة إلى أقدم ممارساته الوطنية، التي قرأناها في قصيدته عن (ثورة العشرين) يلي ذلك: مشاق النضال، وفداحة الثمن، ثم العنف الثوري وأداته الحاسمة، الكفاح المسلح، فهذه المبادئ تتكرر - وبشكل مستمر - في جميع قصائده السياسية))⁽⁸⁾ ولا سبيل إلى تحقيق تلك المبادئ - على وفق منظوره - إلا بالجد والثبات في الشدائد، كما في قصيدة: (ويلي لأمة العرب):

جَدُّوا قَبْلَ الْبَدْهِرِ جَدًّا وَتَرَكَضُوا شَيْبًا وَمُزْدًا

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 84. وينظر: المصدر نفسه: 1 : 66، 1 : 277، 1 : 57، 3 : 498، 1 : 222،

1 : 223، 4 : 587، 3 : 460، 2 : 243، 7 : 1089، 4 : 684.

(2) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 160.

(3) ينظر: خيري الهمداني حياته وشعره: 119.

(4) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 40.

(5) ينظر: خيري الهمداني حياته وشعره: 119.

وقد اجمع الشعراء في هذه المرحلة على الثورة إجماعا منقطع النظير، ولمعرفة المزيد عن تلك المرحلة راجع جرائد: (المفيد) و(العراق) و(لسان العرب) و(النهضة العراقية) و(العاصمة) و(الاستقلال) و(البلاد) و(شط العرب) و(الفلاح). ينظر: نفسه: 20.

(6) ينظر: في رحلة الفكر والتحول: 26، 27.

(7) ينظر: تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 172.

(8) في رحلة الفكر والتحول: 26.

صـولوا بعـزم لـيس يصـدا
أولسـتم خـير المـواطـن
أبـن الـذـين إذا انتـحتـهم
تـخذوا الثـبـات سـلاحـهم
حـدّه والسـيـف يصـدا
مـوطـنـا وأعـزّ جـنـدا
شـدّة كـانوا الأشـدّا
وتـدرّعوا حـزمـا وجـدا⁽¹⁾

إنّها دعوة لاستنهاض الهمم وشحذ العزائم يقول الدجيلي: ((إنّ قصيدة الجواهري تحفّز على الجهد والاجتهاد.. وأنّ في اشتداد الأزمات يبرز في هذا الوسط، وبين تلك المحن رجال أشداء، لم يضرعوا خذاً للخطوب، ولم يستنيموا للنوائب وصروف الدهر))⁽²⁾
ومن اللافت للنظر أن الجواهري عندما يدعو للثورة على المستعمر يخاطب الشباب من الأمة دون سواهم، وقد سلك بهم كل أساليب الحث والتشجيع؛ لبلوغ المرام، وتحقيق الغاية، إيماناً منه بأنهم القوة الفاعلة القادرة على التغيير، ففي قصيدة: (البعثة المصرية) يقول الجواهري:

بـرغم أنّا قـد تـزعّم
فهنـا شـبابٌ ناهـضـون
فيها الشـجـاعة مـن علـي
عـندنا حتـى البـقـر
عقـوقهم إحـدى الكـبـر
والسياسة مـن عـمر⁽³⁾

وفي قصيدة: (الشباب المر) يقول:
هـبّي ليوث المـشرقـن وجـدّي
صـبّح مـن الأـمال أشـرق إن يـكن
ولقد علـمت بـأنّ ذلـك غايـة

وكلما رأى أنّ الخمول قد سرى في أجسادهم، نفث فيهم روح العزيمة وذكرهم بغيرهم من الشباب القدوة، كما في قصيدة (شباب ضائع):
أهـبـت بشـابـان العـراق وإنـما
بـمصر، ومصر ما تـزال طـريـدة
دوى شـباب أـرجف الجـور وقـعه
منها الحـياة وقـومـي أخـلاقـها
حقّاً فـشمسـك عـاودت إـشـراقـها
تـسمو بـها إذ أكـثـرت إـطـراقـها⁽⁴⁾

ونجد المفهوم نفسه في قصيدة: (العلم والوطنية):
مُدّي بـروجـك للعـراق يـبـنّ لـه
فـدتك ناشئة البـلاد وشـمـرت
أردت بشـعري أن أهـيـج سـبـاعا
شرى الظلم مـنها مـا أـراد وبـاعا
وزعـزع مـن بُنيانـه فـتـداعى⁽⁵⁾

ثم يتوجه الجواهري إلى مخاطبة شعوب الشرق للقيام بالثورة، لأن السّلم لا يجدي وقت الكفاح، والمطالب لم تنل إلا بالعزائم، وإذا كان شعره يقطر دما فلأن قلبه موطن للرزايا، فيقول في قصيدة: (النفثة):

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 152.

(2) الجواهري شاعر العربية: 327.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 249.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 96.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 364.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 85.

السَّيْلَم لا يجدي بيوم الكفاح
بالعزم نل يا شرقُ ما لم يُنَل
لاغرو إن سال قصيدي دما
من لي بشعب واثق آمن
قد فَوَّض الأمر لشبابه

فاس تقبل الأيام شاكي السلاح
فالغرب قد طار بهذا الجناح
فإن قلبي مثخنٌ بالجراح
غُدُوهُ لغايةٍ والبرّواح
فكالت أعماله بالنجاح⁽¹⁾

إنّ الأمم بفطرتها تكره الاستعمار والاستعباد، وإن رزايا أفعالها قد أوصلت الشعوب على أعتاب ثورة عارمة، معروفة العاقبة والمصير. فيقول في ذلك:

أمة تكره من مستعمر
أوطأت أقدامها عارمة
وتخطت جمرة الغيظ إلى

فرضه النصر وتأبى الإنخذا
رقية الجور وشاءته انتعالا
وقدة الموت فزادته اشتعالا⁽²⁾

لا ريب أن أبطال الشرق سيقبرون غزاة الغرب الطامعين، الذين سولت لهم أنفسهم، بأن الشرق جنة مستباحة، وبقرة حلوب. يقول الجواهري في (ذكرى المالكي)

ومنذرين طواغيت وما علموا
قوى من الحق كالصُبح المبين هُدى
دال الزمان فليس الشرق مزرعة
تمخض الكون وامتدت يدُ رفعت
وراح يحفر قبر الغرب حقار
والحق مطرقة يلوى القوي بها

أن الشعوب ضمانات وإنذار
وجحفل كسواد الليل جرار
فيها غلال، وألبان، وأبقار
بها عن المارد الشرقي أستار
ويسجد له التابوت نجار
وكل شعب سليل الحق مسمار⁽³⁾

ويمضي الجواهري (في تفاوله الثوري) مفتخرا بأن الثوار قد نازلوا المستعمر، فقرعوا بكعوب سباطهم رأس من سن القراعا، حتى مالكة الصراع مترنحا، ولكن يأبى الاستسلام، ثم يأمرهم بأن يشدوا الوثاق عليه، كي ينتزعوا منه حقوقهم انتزاعا، فيقول في قصيدة: (دم الشهيد):

وأنتكم بكعوب السوط منكم
قرعتم رأس مختبط رؤوسا
مسكتكم من خناقة أفعوان
وفكوا شدة مؤتذب خبيث

قرعتم رأس من سن القراعا
مماكرة، ومالكها صداعا
شديد البطش يأبى الإنصراعا
وسئلوا حقكم منه انتزاعا⁽⁴⁾

ولم يكن الجواهري في دعوته إلى الثورة أسير قطرية محدودة فهو في شعره وطني لا إقليمي، وقومي لا عراقي، وإنساني لا شعوبي⁽⁵⁾، فقد شارك العالم العربي والإسلامي والإسلامي وغيرهما من الأمم والشعوب، التي تعرضت للاستعمار والاستعباد، فمثلا حمل هموم العراق ووزره، حمل أوزار (سوريا) التي أبصر محنتها، فواكبها في قصائده،

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 185.

(2) ديوان الجواهري: 3 : 251.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 695.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 518.

(5) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 65.

ودافع عنها، وصبر أبناءها، كما حثهم على الثورة، ومواصلة المسير، بعد أن قرع من استعمرهم بالحديد والنار، ففي قصيدة: (دمشق الجميلة) يقول:

ثباتاً يا دمشق على الرزايا وتوطئنا وإن ضاق الخناق
وفوزا بالسباق وليس أمرا غريباً أن يكون لك السباق
دمشق وأنت غانية عروس أمشتبك الحراب لك الصداق⁽¹⁾

وبعد أن جعل صداق عرسها الثورة، يردفها بقصيدة أخرى، يحرض أهلها على (الثورة)؛ لنيل حقوقها الوطنية من الاستعمار، الذي وصفهم: بالذئاب والكلاب كما في قصيدة: (على دمشق):

ثوري دمشق فإتما إن لم يكن حجر يضر
سوريا أم الضراغم مثل الوديعة من الطيور
نيل الأمان في الطلاب بهم فكوم من تراب
أصبحت مرعى الذئاب تعاورت به يد الكلاب⁽²⁾

ويحذر الجواهري المتأمرين على دمشق، ويعرج إلى مدح الوطنيين الذين يقارعون المحتل الفرنسي، حتى أمست دمشق بهم قلعة للعروبة، ورما للكرامة فيقول في قصيدة (خلفت غاشية الخنوع):

عوذت جلق بالضحايا جمّة عوذتها بالمالكي ورهطه
سيرى عتاة الأجبي بعينه من ناندين نفوسهم لم يعرفوا
بشرارة موت يزحفون إلى الوغى

ثم يمضي الجواهري في ملحمة في (ذكرى المالكي) بأن جيشه سينتقم من أعدائه المستعمرين من (البريطانيين) و(الفرنسيين) و(الأمريكيين) كما انتقم (خالد) و(ضرار) وغيرهما في معاركهم مع أعدائهم فيقول:

محلقين بصمت والردى لغة لا بد أن يسترد الفتح خالده
تمرغ الثار إذ هيضت جوانه على (الخليجين)⁽⁴⁾ سقاخ سندرکه
وثالث⁽⁵⁾ هو من خبث، ومن ختل

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 158.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 151.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 676. وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 371.

(4) سفاح الخليجين: الاستعمار البريطاني.

(5) جزار الجزائر: الاستعمار الفرنسي.

وفي قصيدة (إلى الشباب السوري) يمدح الجواهري هذه العصبة المؤمنة التي تتحدى الموت، وتتسابق إليه ذودا عن دمشق، فيقول الجواهري:

حيّ الصفوف لرأب الصدع تجتمع
حيّ الشباب جنود الله ألفهم
محميةً بالأصم الفرد تحرّسه
مثل (النسور) إذا ما حلقوا رهبوا
والرابضون كأساد الشّرى فإذا
هيجوا رأيت المنايا كيف تندفع⁽²⁾

ونتيجة لهذه المواقف القومية اتجاه سوريا، منع الجواهري من الدخول إلى الشام مرتين بسبب قصائده، التي هاجم فيها الاستعمار⁽³⁾، لقد وقف الجواهري ضد الاحتلال الفرنسي في لبنان، حيث هاجم المحتل وربط بين الإحتلالين الفرنسي والانكليزي وإنهما سيّان في لغتهما مع الشعوب المحتلة حيث السوط والإرهاب فيقول في قصيدة (لبنان):

إيه (لبنان) والحديث شجون
هل يطيقُ البَيّانُ دفعاً لِمَا بي؟
ما تقولون في أديبٍ حريبٍ!
مستقلّ يلوذُ (بالانستداب)
خلت أتي فررتُ من جو بغداد
وطغيان جورها اللّهـاب
ومن الزاحفين كالثود (هونا)
تحت رجلَي مستعمرٍ غلاب
أقيبقى (الأحرار) منّا ومنكم
بين سوط الغريب والإرهاب⁽⁴⁾؟

وإثر تلك القصيدة مُنع الجواهري من دخول لبنان⁽⁵⁾ لأنه شتم الفرنسيين⁽⁶⁾ وفي عام: (1951) شارك الجواهري في تأبين (عبد الحميد الكرامي)، فهاجم الاستعمار والحكومة العميلة، التي جعلت البلاد مرتعاً للأجنبي من خلال القواعد الأجنبية فيها، فيقول الجواهري:

باق وأعمار الطّغاة قصار
من سِفَر مجدك عاطر مَوّار
عبد الحميد وگل مجد كاذب
إن لم يُصنّ للشعب فيه ذمار
ولمست كرسياً يُرج كآئه
نغشّ يُدقّ بجنبه مسمار⁽⁷⁾
والوحش يربض في الثنايا مُنذراً
والموت جار بهـا زار
أعقابُ لبنان تدنس وكره
للأجنبيّ قواعِدُ ومطاران⁽⁸⁾

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 692.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 369.

(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 404. وتنتظر قصيدة (الخطوب الخلاقة) والتي يمدح فيها الجواهري دمشق ويصفها بجهة المجد: الأعمال الكاملة: 5 : 863.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 382.

(5) ينظر: تداعيات عن المدن والرجال في حديث غير منشور عن الجواهري: 55. مقال في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)

(6) مذكراتي: 1 : 86. وينظر الأعمال الكاملة: 2 : 380. (الهامش)

(7) الكرسي المرتج إشارة إلى عدم ثبات الوزارات؛ لأنها تروح وتجيئ بأمر من الاستعمار. الأعمال الكاملة: 4 : 593. (الهامش)

(8) يشير الجواهري إلى مدى سيطرة النفوذ الفرنسي والأمريكي والبريطاني في لبنان.

أشباب لبنان يُضام لأتفه يقظ على عقيب المصير يَغَارُ⁽¹⁾؟
 وبسبب تهجمه على الاستعمار والحكومة طرد الجواهري من لبنان، وكتب عليه
 المنع مما أثار حفيظة (جورج حنا) ، فكتب في (جريدة النهار): ((ماذا قال الجواهري
 وبماذا كفر لكي يطرد، ومن هو الذي غضب على الجواهري. لأن الجواهري، ثار على
 الاستعمار ودعاة الاستعمار))⁽²⁾ ، كما شارك الجواهري الفلسطينيين ثورتهم على
 الاستعمار البريطاني عام (1938) ويقول في قصيدة: (يوم فلسطين) إن هناك رجالاً بررة
 وقوا بالعهد، يتباهى بهم التاريخ، وأنّ الدماء التي أريقَت ستكون شاهد عدل على ظلم
 المحتل، غير أنّ الظلم يولد الثورة، وأنّ تلك الدماء أذنت بولادة شعب جديد، يقول
 الجواهري:

هَبَّتِ الشَّامُ عَلَى عَادَتِهَا	تَمَلَّأَ الْأَرْضُ شَبَابًا حَنَقًا
بِرَّ بِالْعَهْدِ رَجَالًا أُنْفُ	أَخَذَ الشَّعْبُ عَلَيْهِمُ مَوْثِقًا
أَلْبَسَ الْمَلِكُ رَدَاءً وَازْدَهَتْ	رَوْعَةُ التَّارِيخِ مِنْهُ رَوْنًا
صَبَغَ الْأَرْضَ وَأَلْقَى فَوْقَهَا	مِنْ فِدَاءٍ وَإِبَاءٍ شَفَقًا
شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَى الظُّلْمِ إِذَا	كَذَّبَ التَّارِيخُ يَوْمًا صَدَقًا
هَكَذَا تُعْلَنُ صَرَعَى أُمَّةٍ	أَنَّ شَعْبًا مِنْ جَدِيدٍ خُلِقَا ⁽³⁾
وخلد الجواهري بطولات الفدائيين في قصائده، كما في قصيدة (الدم والفداء) ⁽⁴⁾	و(الدم العملاق) ⁽⁵⁾ ويحذر الفلسطينيين من الحلول الخادعة التي أضاعت فلسطين، وما أخذ
أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وأنّ الدم هو طريق الحرية والاستقلال، يقول الجواهري:	أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وأنّ الدم هو طريق الحرية والاستقلال، يقول الجواهري:
جَلَّ الْفِدَاءُ وَجَلَّ الْخُلْدُ صَاحِبُهُ	ضَاقَ الْفَضَاءُ وَمَا ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ
وَيَا فَتَى الْحَيِّ مَازَجُ تَرْبِهِ بَدِ	كَمَا يُمَازِجُ صَرَفَ الرَّاحِ قَاطِبُهُ
وَلَا تَتَّقِ بُوْعُودَ مَا اسْتُجِيشُ بِهَا	يَشُّ لِقُومٍ وَلَا نَصْرٌ يَوَاكِبُهُ
أَبَالْحَوَارِ يَرُدُّ الْغَنَمُ غَانِمُهُ	أَوْ يُرْجِعُ الْبَلَدَ الْمَغْصُوبَ غَاصِبُهُ
قَدْ حَانَ لِلْحَقِّ أَنْ تَشْتَدَّ غَضَبُهُ	حَتَّى يَخْرَ عَلَى الْأَعْتَابِ سَالِبُهُ ⁽⁶⁾

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 595.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 591. (الهامش)

وبعد مرور (خمسة) أعوام على تخلص (لبنان) من الاحتلال الفرنسي طرد الجواهري منها على يد
 الحاكمين فيها، عام (1951) ولم يدخلها إلا عام (1961) ثم دخلها عام (1967) ومنع أيضا بنفس
 الأعداء، ولم يسمح له، إلا بعد تدخل الشاعر (سعيد عقل) ورغم كل ذلك الإبعاد إلا أنه تغزل بلبنان
 بأكثر قصيدة له، ينظر: مذكراتي: 2 : 287. وينظر: الأعمال الكاملة: 5 : 865.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 372.

(4) الأعمال الكاملة: 5 : 883.

(5) الأعمال الكاملة: 5 : 881.

(6) الأعمال الكاملة: 2 : 372.

وفي قصيدة: (اليأس المنشود)⁽¹⁾ يشكو الجواهري ضياع فلسطين، بسبب حكامها، وخمول الأمة، فقد صنعت الشعوب من اليأس تاريخاً للأمل، فاليأس حدود وأن الصبر في غير محله جبن، يقول الجواهري:

رُدُّوا إلى اليأس ما لم يتَّسع طمعا
ولم أجد كمجال الصبر من وطن
وإن من حسنات اليأس أن له
اليأس أطعم بالأشلاء مقصلةً
و(طارق) منه أعطى النصر كوكبه
وعندنا ساسة سؤنا لهم تبعاً
ردّ المصيبة بالمنديل مفتخراً

وبعد فلسطين ينقل الجواهري معركته إلى مصر، ويدعو زعيمها (مصطفى النحاس) إثر فوزه، وتوليته الحكم وإلغائه المعاهدة البريطانية (1936) إلى إعلان الجهاد ضد (الانكليز)، وهذا ديدن مصر في التاريخ، من عهد (سعد زغلول) والدماء تسيل، فالجهاد ساعة فاغتنمها، ولا يثبطن عزمك أقاويل المرجفين، فيقول:

سِرْ في جهادك يحتضنك لواء
من عهد (زغلول) يرف وتحتَه
أثبت كعوبك تغل تحتك ساعة
شرف السياسة أن تخوض غمارها
فاذا تفجرت الجموع وأذنت نهضوا
لتفريق الجموع واقسموا

ووقف مع (الشعب المصري)، في العدوان الثلاثي، ونظم قصائد طوال تحت على الثورة والصمود، كما في قصيدة: (بور سعيد) وفيها يقول:

خوضي دماً (أسوان) منه منزع
كم غاص في رمالك السُّمُر. غو

وفي قصيدة (إلى الشعب المصري) يقول:

ثم اقذفي المستعمرين بوعيه
وتقحمي الغمرات صدرك مُحتم
إننا وأنتم في خضم واحدٍ

نارا تشبُّ، وصاعقا يتمطر
ومداك متسِّعٌ ووجهك مُسفر
موجُ المصائب حولنا يتكسَّر⁽⁵⁾

(1) امتنع (طه حسين) عن نشر هذه القصيدة، فاتهمه الجواهري بالعمالة للصهيونية، لكنه اعتذر عما بدر
بدر منه. ينظر: الأعمال الكاملة: 3 : 468. (الهامش)

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 468.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 577.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 686.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 587.

فهو مع كل ثورة تسقى شجرتها بدم الأحرار، الذي به يعز الذليل، ويذل الباغي،
ويصنع التاريخ بفجر جديد، فيقول:

خَلِي الدَّمُ الغَالِي يَسِيلُ
هَذَا الدَّمُ المَطْلُوعُ يُخِـ
أَنْ سَتَرْدُ بِهِ الاسِيـ
مِنْ ههنا فَجِرُّ يُطِلُّ
وَكأنْ مخضبة الدماء
مَدِّي بهَا جِسْرَا
وتقامـري والمـسوت: إنْ
خَلَّ الدَّمُ الغَالِي يَسِيلُ
متحدِّرٌ كالسهم صُلـ
يَصِلُ المناضل بالمنـا

ويا (أبا خالد) إنْ يلتهب بفمي
أنقذ (فلسطين) مردوداً بها حرم
وطهر البيت من رجس يلوثه
ولن يطهره إلا مخايرة

ويعد الجواهري أكثر شعراء العرب تفاعلاً مع الثورة الجزائرية ضد الاستعمار
الفرنسي، حيث توالى قصائده تترى تواكب الحدث، مذكراً إياهم، بأن النصر حليف
الثوار (3) فيقول:

دعي شفرات سيوف الطغاة
فأنشودة المجد ما وقّعت
نُطِرْتُ مِنْكَ عَلَى المقطع
على غير أوردة قُطِع (4)

إن الجواهري غير مكترث بجسامة تضحيات الثورة؛ لأنها ثمن طبيعي للاستقلال،
فيوصي الجزائر أن تزيد من عدد شهدائها، إمعاناً في المقاومة، وحتمية هزيمة المحتل (5)
وزيـدي ضحاياك تزددُ بها
فلم تشـتعل كـدم الثائريـ
نجمٌ سماواتك اللُّمـع
ن مصابيخ في حالك أسفع (6)

إن البطل في نظر الجواهري: هو من شرب سم الموت، وعدم الخوف من ويلات
الردى، لأن أهوال النضال لم تخلق إلا لمن هو كفء بها، وأن راية الاستقلال لن ترفع إلا
ببد الاستشهاد (1)، فيقول في القصيدة نفسها:

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 624.

(2) الأعمال الكاملة: 5 : 860.

(3) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 357.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(5) ينظر: مقالات في الشعر العربي المعاصر: د. الاعرجي: 86. دار الشؤون الثقافية: 2007.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

رَدِّي علقَمَ الموت لا تجزعي ولا ترهبي جمرة المصروع
فسارية العلم المستقل بغـ ير يد الموت لم تُرفع⁽²⁾

إنّ الجواهري منذ اليوم الأول يؤمن، بأنّ رد الشر بالشر أحزم، فالاستعمار لا يعرف غير أسلوب واحد في التسليم بحق الشعوب، وهو طريق الكفاح المسلح⁽³⁾

جزائر يا كوكب المشرق من دجا الشرق من كربة فاطمي
ويا عقب العرب المغربين أعيدي صدى (عُقبَة) تُسمعي
أجدي عهداً عفت وابعثي نوافح من سحرها الممتع
فها هو ذا داره للنجمو م تسبح في فلك أوسع
وكان المناضل في لجة العمائات ينداح كالقوّقع⁽⁴⁾
وفي قصيدة: (بكرت جلق)⁽⁵⁾ يشد على أيدي (الجزائريين) ويدعوهم إلى المزيد من التضحيات:

أرأيت الدهر ضيماً دفعاً أم بغير الدم حقاً رجعا
من نفوس دُبن في خبّ الجمی فتساقطن عليه قطعا
تكتب التاريخ لا تدري لها غير أسفار الضحايا مرجعا⁽⁶⁾

ويحذر الجواهري الجزائريين، من أن تؤول ثورتهم، مثلما آلت إليه الثورات في العراق⁽⁷⁾؛ لأنه المجرب الحكيم، والناصح الأمين لكل الثائرين، وعانى ما عانى على يد الطامعين في العراق من قهر وقسوة، ففي (عينيته) يصب جام غضبه على الاستعمار الذي ابتلي به وطنه وشعوب العالم، والذي فرض عليه المنفى الإجمالي في ذلك الوقت، ويطلب من الجزائر أن تنتقم للشاعر ولكل إنسان ذاق ويلات الاستعمار ويطلب منها أن تصب حقدتها على الاستعمار في ضراوة وعنف، وأن تنتزع أظافره، وتقلع نابيه، وتشق مرارته، وتمضغها بأسنانها، وتشرب من دمه، يطلب منها أن تذيقه ما ذاق شعب العراق والشعوب العربية وشعوب العالم⁽⁸⁾.

جزائر كي لي بصاعغي حقو د عم في ضراوته مُقدّع
على موجع الظلم بالأوجع ومُسْتَبَشع الحقد بالأبشع

(1) ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 82.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(3) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 338.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(5) ألقى الشاعر قسماً من القصيدة في المظاهرات التي انطلقت في دمشق احتجاجاً على لجوء المستعمرين الفرنسيين بآرام الطائرة، التي كانت تقل (بن بلة) ورفاقه على الهبوط واقتيادهم إلى سجون (فرنسا) عام: (1957).

(6) الأعمال الكاملة: 7 : 1104.

(7) ينظر: مقالات في الشعر العربي المعاصر: 82.

(8) ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 206، 207.

خذي الوحش من ظفّره وانزعي
وشقّي مرارته وامضغي
دعيه يدقّ ما أذاق الشعو
وأخيرا يستهزئ الشاعر بفرنسا التي تدعي أنها صنعت الثورة من أجل الإنسان،
وهي تذبح الإنسان في الجزائر، وسوريا، ولبنان وغيرها، وتفتخر بأنّها أغلقت (باستيل)،
لكنها بنت ألف (باستيل) فما أحبّث المدعي وما أقبح ما ادّعاه، أما في قصيدة: (تونس) فيمدح
أهلها المرابطين، ويذكرهم بأنّ التاريخ يعيد نفسه، بظهور (طارق بن زياد) وسط النصر
المحتّم على جيش المحور، ثم يربط بين ماضي الأمة وحاضرها:
ويا شرق غدّ للغرب فاقتحم الغربا
فويقّك أشلاء مبعثرة إربا
وظهر على القفّاس مستعليا جبّا
وعبا من الإيمان بالنصر ما عبّا
سناها حريق في سفائنه شبّا
حمت فأجادت قبلها عن جمى ذبّا
ومن قبله في البرّ أزعت الضبّا
ولا حجرت رأيا، ولا أحرقت كُتبا⁽²⁾

ويا شرق غدّ للغرب فاقتحم الغربا
فويقّك أشلاء مبعثرة إربا
وظهر على القفّاس مستعليا جبّا
وعبا من الإيمان بالنصر ما عبّا
سناها حريق في سفائنه شبّا
حمت فأجادت قبلها عن جمى ذبّا
ومن قبله في البرّ أزعت الضبّا
ولا حجرت رأيا، ولا أحرقت كُتبا

وكذلك وقف الجواهري إلى جانب الثورات الأخرى كما نجد ذلك في قصائده المنتشرة في دواوينه فوقف مع ثورة (المغرب)⁽³⁾ و(الأندلس)⁽⁴⁾ ومع (سوستبول)⁽⁵⁾ كما
كما وقف مع رجالات الثورة الذين قادوا معارك المصير ضد الغزاة، فأيد (الحسين بن
علي)⁽⁶⁾ ورثاه بأكثر من قصيدة ولقبه بأبي الثورة العربية، كما وقف إلى جانب (بن
بله)⁽⁷⁾ و(القوتلي)⁽⁸⁾ و(النحاس)⁽⁹⁾ و(جمال عبد الناصر)⁽¹⁰⁾ و(بشارة الخوري)⁽¹⁾ و(جمال

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 413.

(3) ففي المغرب اصطدم الشعب بالاحتلال الفرنسي والاسباني، وبرز القائد (عبد الكريم الخطابي) كرمز
كرمز للبطولة في المغرب، حتى اضطرت قوات الاحتلال الجلاء من (المغرب) عام 1956. ينظر الثورة
العربية وإسرائيل: فواد قازان: 186. وينظر الأعمال الكاملة: 6 : 995

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 466.

(5) الأعمال الكاملة: 5 : 828.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 138.

(7) الأعمال الكاملة: 7 : 1104.

(8) الأعمال الكاملة: 4 : 704.

(9) الأعمال الكاملة: 4 : 579.

(10) الأعمال الكاملة: 6 : 942، 6 : 937.

و(جمال الدين الأفغاني)⁽²⁾ و(حافظ الأسد)⁽³⁾ و(عبد الكريم قاسم)⁽⁴⁾ و(جعفر أبو التمن)⁽⁵⁾ و(عبد الحميد كرامي)⁽⁶⁾ و(عدنان المالكي)⁽⁷⁾ و(خالد بكتاش)⁽⁸⁾ و(غاندي)⁽⁹⁾ و(استالين)⁽¹⁰⁾ وقد لخص الجواهري معظم فلسفته القاضية بحتمية انتصار الشعوب على المستعمرين في قصيدته (أم تجد ونلعب):

المَشْرِقُ السَّوَاعِي يَخُ	طَّ مَصِيرُهُ وَالْمَغْرِبُ
فَهَذَا دَمٌ يَنْعَهُ دُ الْج	يَلُ الْجَدِيدُ دَ فَيَكْسِبُ
وَهَذَا جَمَاهِيرُ يَخُ	بِهَذَا زَعِيمُ أَغْلِبُ
سَيَزُولُ مَا كُنَّا نَقُ	وَلُ مَشْرِقٌ وَمَغْرِبُ
قُلْ لِلشَّيْبَابِ تَحَقُّ زُوا	وَتَيَقِّظُوا وَتَسْأَلُوا
وَتَسْأَلُوا لِلطَّارِئَاتِ	فَإِنَّهَا تَتَأَهَّبُ
سَيَجِدُ مَا سَيَطُولُ	إِعْجَابُ بِهِ وَتَعْجِبُ
وَيَلُوحُ فَجْرٌ غَدِ	فِي رُكُضِ نَحْوِهِ وَيَرْجُبُ
لَا تَنْفُروا إِنَّ الْحَيَاةَ	إِلَيْكُمْ تَنْتَقِ
وَتَتَوَلَّوْا جَمْرَاتِكُمْ	أَنَّا وَأَنَّا فَاحْصُوا
كُونُوا كَعَصْفَةِ تَطْوَحُ	بِالرَّمَمِ مَالٌ وَتَلْعَبُ
لَكُمْ الْغَدُ الدَّانِي الْفُطُوفُ	وَصَفْوَةُ الْمُسْتَعْبَدِ ⁽¹¹⁾

ثورة العشرين في شعر الجواهري

لاشك في أن ثورة العشرين تعد من أهم الأحداث في تاريخ العراق الحديث، بوصفها انعطافة حادة، بين مرحلتين متناقضتين متمثلة: بالصراع بين الحق والباطل، وبين الاستعباد والحرية. وقبل الخوض في تفاصيلها لابد من أن ندرك بأن هناك عوامل وأسباباً أسهمت بإذكاء روح الثورة في نفوس العراقيين، منها حصار النجف عام (1919) نتيجة الانتفاضة الوطنية ضد البريطانيين⁽¹²⁾، وقد انتهت بإعدام القائمين بها⁽¹³⁾، لكنها كانت

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 497.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 431.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 116.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 712.4 : 706.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 591.

(7) الأعمال الكاملة: 4 : 691.

(8) الأعمال الكاملة: 6 : 1000.

(9) الأعمال الكاملة: 5 : 741.

(10) الأعمال الكاملة: 3 : 412.

(11) الأعمال الكاملة: 3 : 402.

(12) ينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 16.

(13) عزا الجواهري فشل التمرد الوطني في النجف إلى عاملين وهما:

1- تخلي الطليعة عن المشاركة فيها

بداية شرارة لثورة العشرين التي جعلت منها بأن تكون أشد قوة وأكثر استمراراً، وامتداداً، بل أشد بعداً عن استغلال المستغلين⁽¹⁾، كما أن لثورة مصر عام (1919)، التي قادها (سعد زغلول) ضد الانكليز أثرها الفعال في تقوية عزائم العراقيين، وإلهاب مشاعرهم نحو الثورة⁽²⁾. فضلاً عن سرقة ثورات العراق، والظلم السياسي والاجتماعي⁽³⁾، ونتيجة خيبة الأمل بعدم تحقيق الوعود⁽⁴⁾. إن كل تلك الأمور مجتمعة، قد ولدت المرارة في النفوس، وأشاعت السخط بين الطبقات، وأخذ الناس يتذمرون من الوضع الاستعماري الجديد، لما أصابهم من ويلات هذا الاحتلال، حتى عيّل صبرهم، ولم يبق في القوس منزع⁽⁵⁾ ((فأخذ كل واحد منهم حسب إمكانياته واختصاصاته، يقوم بما يحتمه عليه الواجب الديني والوطني والقومي، لبث الدعوة للقيام بالثورة وطرد الانكليز الغاصبين من البلاد))⁽⁶⁾، ويذكر الدكتور (علي الوردي) آراء تجانب الحقيقة وتخالف الواقع، حيث يقول إن سبب قيام ثورة العشرين هو حب العرب للسلب والنهب وكرهم للحكومات؛ لأنها قيود تمنعهم من ممارسة الفوضى التي اعتادوها بسبب بداوتهم⁽⁷⁾، وأن هذه الثورة بدائية، خالية من الوعي السياسي، ووراءها مصالح شخصية⁽⁸⁾، كما هي امتداد للحروب العثمانية⁽⁹⁾، وأنها وليدة المصادفة⁽¹⁰⁾ وذكر آخرون أن الثورة كانت بسبب الانتداب. والحقيقة التي لا يمكن إغفالها هي أن شعر الشعراء كان سبباً رئيساً في نشوب الثورة وإذكاء لهيبها، فقد أسهم الشعراء مساهمة فعالة وكانت قصائدهم بمثابة قنابل على رؤوس الانكليز⁽¹¹⁾ ((فالحياة السياسية الوطنية المتبلورة في المطالبة بالاستقلال، هي التي دفعت شعراء العراق، لأن يخرجوا بشعرهم من المجال الضيق إلى مجال أوسع وهو مناصرة ودعم الثورة العراقية.))⁽¹²⁾

2- عدم استمرار الطلائع الدينية في شد أزهرهم. ينظر: مذكراتي الجواهري: 99: 1، 101.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 98.

(2) ينظر: تأريخ القضية العراقية: 1 : 52. وينظر: تأريخ مقدرات العراق السياسية: 3 : 99. وينظر: الثورة العراقية الكبرى: عبد الرزاق الحسيني: 72. مطبعة العرفان: صيدا: 1965.

(3) ينظر: الثورة العراقية الكبرى: عبد الله فياض: 67. وزارة الثقافة: بغداد: 1963.

(4) ينظر: تأريخ العنف الدموي في العراق: 297.

(5) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 62.

(6) البطولة في ثورة العشرين: عبد الشهيد الياسري: 11. النجف: 1966. وينظر: لمحات اجتماعية من

تاريخ العراق الحديث: 5 : 11.

(7) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 14.

الحقيقة التي أريد تبينها، هي أن آراء (الوردي) انعكاس لمقولات الساسة الأتراك والانكليز، لتبريرهم احتلال العراق وشرعنة الانتداب (الوصاية). ((إن الأتراك والانكليز حكموا على العراقي بأنه غدار

خائن يحب السلب والنهب)) تاريخ العنف الدموي: 297.

(8) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي الحديث: 365.

(9) ينظر: نفسه: 172.

(10) ينظر: لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث: 1 : 315.

(11) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 44. وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي

الحديث: 33. وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 86.

(12) تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 152.

وقد شارك الشعراء في الاحتفالات التي أقامها زعماء (ثورة العشرين) في المناسبات الدينية، وكان جامع (الحيدر خانة) في بغداد أشهر المساجد، التي كانت تضم هؤلاء الشعراء، إذ كانوا يتناوبون في إلقاء قصائدهم، وكانت تطفح بالحماسة الوطنية، وتشتعل بنار الثورة وكان على رأس هؤلاء الشعراء (محمد مهدي البصير)⁽¹⁾ و(محمد مهدي الجواهري)⁽²⁾، كما أنهم سجلوا أحداثها، ومجدوا أبطالها، وخلدوا شهداءها⁽³⁾، حتى قيل: ((إن لكل انتفاضة عراقية شعراءها، على نقيض (ثورة عرابي) يكاد لا يوجد لها أثر بالشعر المصري، وأن أكثر شعراء العرب في تأريخنا الحديث رافق شعرهم انتفاضات وثورات شعبهم، هم الشعراء العراقيون.))⁽⁴⁾ إذ ليس هناك شاعر تعلق بثورة شعبه، كتعلق كتعلق الجواهري بثورة العشرين. ويعد الجواهري على صغر سنه، أبرز شعراء (الثورة العراقية) يقول الدجيلي: ((إذ لم أجد من الشعراء عند اندلاع الثورة واشتعالها، من نظم فيها (إلا الجواهري))⁽⁵⁾ فكانت (الثورة العراقية)، ((وهي أقدم قصيدة تعود إلى عام: 1921) وهو يقول: إنها نظمت في أعقاب الثورة العراقية (1920)، وكان الشاعر لا يتجاوز عمره آنذاك (العشرين)⁽⁶⁾ عامًا، فكان من الإنصاف أن يبدأ شاعر الثورات بقصيدة بقصيدة عن أولى الثورات العراقية الكبرى))⁽⁷⁾ ويصفها أحد النقاد: ((بأنها من قصائد الحرب الفريدة، التي قيلت في هذا القرن))⁽⁸⁾ وقد امتازت بشحنتها التحريضية العالية

(1) يعد (محمد مهدي البصير) أحد أشهر شعراء (ثورة العشرين) -ويدون منازع لأنه كان ينظر إليها على أنها الحد الفاصل بين الحرية والعبودية، لذا نراه يقول في قصيدة: (باعث الغضب):
ولا حياة لنفس لا يحركها
إلى الحماسة يوما باعث الغضب
لا حق للمراء في مجد يحاوله
إن شج بالنفس أو إن ضن بالنشب

البركان: محمد مهدي البصير: 42. المجلد الثاني والعشرين لمجلة المعلم الجديد، مطبعة المعارف: بغداد: (بلا تاريخ)
(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 87.
(3) ينظر: ثورة العشرين في الشعر العراقي: 121.
ويستثنى من أولئك الشعراء (الزهاوي) ((فقد ألقى قصيدة من (ثلاثة وأربعين) بيتا مدح فيها الانكليز ودم الثورة)). تنظر: جريدة (العراق) في عددها الصادر (12) تشرين الأول: 1920. وينظر لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث: 6 : 16. وينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 104
(4) الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 15 .
(5) الجواهري شاعر العربية: 176.
(6) تضاربت الآراء في ذلك، يذكر الجواهري أنه كتب قصيدة: (ثورة العراق) كان عمره: (16) عامًا، والقصيدة نشرت عام (1921)، ثم ذكر في موضع آخر، أن أول قمرزة له في سن (14) سنة، وعنوانها (دعا الموت)، ونشرت في (جريدة العراق)، وذكر أيضا: انه كتب قصيدتين في (جريدة (الاستقلال) حول ثورة (1920) وعمره (17) سنة، ويقول: (جعفر محبوبه): : عمره (21) ويذكر (الاعرجي) أنه في بدايات حياته: كتب ثلاث قصائد في الثورة العراقية وهي: (العزم وأبناؤه). و (ثورة العراق) و (الثورة العراقية).

ينظر: مذكراتي: 1 : 87، 92، 119. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 20.

(7) الشاعر والحاكم والمدينة: 51.

(8) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 109.

واستنهاضها لأبناء الوطن⁽¹⁾ ((وانفجر في أعقابها شاعرا كبيرا))⁽²⁾ وضعت القصيدة ((أولى القصيدة)) (أولى خطوات الجواهري على طريق الشعر السياسي والمبادئ الأولية لحسه الوطني: التباهي ببطولات الثوار، التعلق بشخص البطل))⁽³⁾ ويقول الدكتور (جليل العطية): ((إن حدث الثورة لم يكن المحرك الأساس له بل الموروث الشعري))⁽⁴⁾ وهو قول قول فيه نظر ذلك لأن القصيدة إفراز للحدث ولما قبله، لما هو مركز في اللاوعي، منذ الطفولة القاسية، التي صبغت ولّونت الجواهري بشعر القوة، وقوة الشعر، فقد عاش الجواهري- وكما مر- منذ صغره أحداث النجف ضد الجيش التركي، وعاش الفصول الدامية لثورة النجف (1919) ضد الانكليز، ووقفت عوائل وشخصيات (نجفية) مع البريطانيين في القبض على الثوار، ومن ثم تم إعدامهم⁽⁵⁾، فبذور الثورة، قد تشكلت لديه قبل الثورة العراقية بسبب النشأة والظروف، فضلا عن تأثير التيارات السياسية في عصره، إذ كان يتناغم مع فلسفات (سامي شوكت) وأفكاره الداعية إلى الإيمان بالآلهة القوة⁽⁶⁾ (فالثورة العراقية) ليست إلا تحقيقا لحلم قديم، لذا عندما قامت الثورة المصرية بقيادة (زغلول) كاد الجواهري يتميز غيظا لماذا لا يثور العراقيون أسوة بإخوانهم المصريين؟ حيث يقول في قصيدته (على سعد):

تأريخُهُ بسنِّـهِـ مَـشـاك	مَـاشِ العِراق بيوـمـه فـلـطـالـمـا
ألا يـكـون عـلـى يـدـيـه شـفـاك	وـطـنٌ مـريـضٌ زـاد فـي أـلـامـه
-إن لـم يـعـد بُـنـيائـه بـهـلاك	يا سـعـد أـمـا مـوطـنـي فـمـهـدّد
يـبـنـي القـوافـي فـيـك دـمـعـة شـاكـي	يا سـعـد أـبـلـغ مـن قـصـيـدة شـاعـر
كُلُّ البـلـاد نـوائـحٌ وـبـواكـي ⁽⁷⁾	يا سـعـد ما قـدـري وقـدـرُ نـيـاحـتي

غير أن (محمد مبارك) يرجّح أن الجواهري شب مع ثورة العشرين، وأن نيران معاركها، هي التي أنضجت (الجواهري) موهبة وموقفا. فمنظور الشاعر المركزي إنما صاغته له هذه الثورة⁽⁸⁾، ومهما اختلفت الآراء، ((فالجواهري غنى الثورات والانفاضات، وخاض معاركها))⁽⁹⁾، وقد تمثل

-
- (1) ينظر: رحيل آخر للعمالقة: فايز العراقي: 236. مقال في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).
(2) قصائده قادمة من حضارة الكوفة: حسن العلوي: 103. مقال في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)
(3) في رحلة الفكر والتحول: 21. في ضمن (محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية)
(4) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 109.
(5) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 256. وينظر: مذكراتي: 1 : 101، 102. وينظر: وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 15، 16. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 5
(6) ينظر: هذه أهدافنا: د. سامي شوكت: 238. مطبعة العاني: بغداد: 1967.
(7) الأعمال الكاملة: 1 : 189.
(8) ينظر: تطبيقات نقدية: محمد مبارك: 3. بحث مقدم إلى (اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) لسنة 1978.
(9) حين التقيته عند المحقق: فيكتور نيمان: 188. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

الإحساس بالتمرد لديه سياسياً... في موقف الإسهام والموازرة لثورة العشرين⁽¹⁾ في أكثر من قصيدة، كما نجد ذلك بوضوح في قصائده الآتية: (العزم وأبناءؤه)⁽²⁾ و(رثاء شيخ الشريعة)⁽³⁾ و(ثورة العراق)⁽⁴⁾ العراق)⁽⁴⁾ و(الثورة العراقية)⁽⁵⁾ و(نكرى أبو التمن)⁽⁶⁾ و(إلى الخاتون المس بل)⁽⁷⁾ و(عبد الحميد الحميد كرامي)⁽⁸⁾ و(الدم يتكلم بعد عشر)⁽⁹⁾ و(النقمة)⁽¹⁰⁾ و(يابنت رسطاليس)⁽¹¹⁾ و(الليل والشاعر)⁽¹²⁾. والشاعر⁽¹²⁾.

في قصيدة (ثورة العراق) يتحدث عن الثورة وأثرها في إحياء الشعوب وإسعادها. وأنْ النكوص عنها يورث الذل والهوان، كما يتحدث عن بطولات (الثوار) وما سطروه من معجزات في ساحات الوغى⁽¹³⁾، ثم يأمر بأنْ يثخنوا أعداءهم، بضرب الرقاب، ثم يعرج على هزيمة الأعداء، وكيف أنْ المدرعات التي جلبوها لم تدفع عنهم ما يكرهون، فهزموا شرَّ هزيمة في واقعة (العوجة) (1921)

فبَعِدَ دَا اليَومَ غَدُ	إِنْ كُنَّ طَالِ الْأُمْدُ
وعزَمَ مَتَّقَ د	أَسِيفَ كُمْ مَرْهُفَةُ
أَخْبَارُ مَنْ قَدَ رَقَدُوا	هَبُّوا كَفُّ كُمْ عِبْرَةُ
كَيْفَ يَنْبَأُ الْأَسَدُ	هَبُّوا فَعَن عَرِينَهُ
لِيَعْرِبَ لَا تَحْمَدُ	وَثُورُهُ بَلْ جَمْرَةُ
مَشْهُودَةٌ لَا تُجْحَدُ	وَلَفَّ رَاتِ نَهْضَةُ
أَوِ الْمَنَائِيحَ احْتَشَدُوا	وَفَتْهُ عَلَى الْمَنِيِّ
ومثله لَا يُسْتَنْشَدُ ⁽¹⁴⁾	نَاشِدٍ بِذَاكَ عَوْجَةُ

(1) ينظر: الجواهري من المولد حتى النشر في الجرائد: 42. وينظر: نسيح وحده: حسن طلب: 377. في ضمن (الجواهري وسمفونية الرحيل)

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 57.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 58.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 59.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(7) الأعمال الكاملة: 1 : 222.

(8) الأعمال الكاملة: 4 : 596.

(9) الأعمال الكاملة: 2 : 272.

(10) الأعمال الكاملة: 1 : 100.

(11) الأعمال الكاملة: 3 : 475.

(12) الأعمال الكاملة: 1 : 67.

(13) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 183.

(14) العوجة: قرية على جانب الفرات وتسمى بـ(الرميثة)، وفيها الواقعة المشهورة بين الثوار والبريطانيين، وقد فاز بها الثوار على الإنكليز.

وللقطار وقعصةً
لم يُنَجِّهه من الردى
منها تُقَرُّ الكبـد(1)
حديثه الموطـد(2)

أما في قصيدة: (الثورة العراقية) التي يستهلها بالحكم ثم باستنهاض للهمم، وتطلع للنشء الصاعد في العراق، وما يجب عليه أن يحققه في المستقبل القريب، ثم يعرج على الثوار الغطارف الذين نضوا عنهم الخمول، ثم يذكر معارك (الكوفة)، وما كان فيها من بطولات، ثم مصير الباخرة⁽³⁾. ونقتطع من القصيدة:

لعل الذي ولى من الدهر راجع
غرورا يُمَيِّننا الحياة وصفوها
فلا عيش إن لم تبق إلا المطامع
سرابٌ وجئاث الأمانى بلاقع
كما اقتَر عن ثغر المحب المخادع
هو الدهر قارعه يُصاحبك صفوة
فما صاحب الأيام إلا المقارع⁽⁴⁾

يبدو الجواهري في هذا المقطع بزي (شيخ) وقور يسرد الحكم على بني قومه، موضعاً لهم أن الحياة لا تنقاد إلا لمكابد، وأن النصر لا يأتي إلا لمقارع، وهي فلسفة قديمة مستمدة من المقولة المعروفة: ((إحرص على الموت توهب لك الحياة)) فهو في هذا يشبه وعلى حد كبير الشاعر: (لقيط بن ساعد الأيادي) الذي نصح قومه مما ينبغي فعله في الحرب، ويستمر الجواهري ليحوم حول الفكرة نفسها بقوله:

وصرخة أغيارٍ لإنهاض شعبهم
وإنعاشه تستك منها المسامع⁽⁵⁾

مرة أخرى يحث الجواهري شعبه إلى ساحات الوغى، لصنع الحياة لشعب رزح تحت حراب المحتل، فالتواني لا يجلب إلا الموت ولا سبيل لمجد إلا أن تكون أכולاً لا مأكولاً، وهو يشير إلى (إذا لم تكن ذنباً أكلتك الذئاب)، وأن المطالب والغايات لا تتحقق إلا بالجلاد والمقارعة وركوب الهول ومعانقة الموج. وفي مقطع آخر يتوجه الشاعر إلى الشباب للوقوف صفاً واحداً لملاقاة العدو، كي يبرهنوا أنهم الجيل الذي يعتمد عليه، في بناء الوطن، والأخذ بثأر الدماء التي أسيلت. فيقول:

لنا فيك يا نشء العراق رغائب
لنا مؤجعات القلب هذي المقاطع
أباطحـه فينا نة والمتالع
أيسعف فيها دهرنا أو يمانع
ستعرف ما معنى الشعور وكم جنت
بني الوطن المستلفت العين حسنة

(1) القطار: هو المدرع الذي بعثه المحتلون لتأديب الثوار، وكان مشحوناً بالضباط البريطانيين، وكانت الغلبة للثوار، إذ أوقفوه وحطموه واعتقلوا من به.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 59.

(3) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 183.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

أَسْلَمْتُمُوهُ، وَهُوَ عَقْدَ مَضْنَةٍ يُبَاضِلُ عَنْ أَمْثَالِهِ وَيُدَافِعُ⁽¹⁾

وفي مقطع آخر من القصيدة ذاتها يقول:
وفي الكوفة الحمراء جاشتُ مرَاجِلُ من الموتِ لم تهدأَ وهاجتُ زعازع
أُديرَت كؤُوسٌ من دماءٍ بريئةٍ عليها من الدمع المُدَالِ فَوَاقِعُ⁽²⁾

ثم راح الجواهري يصور ما آلت إليه المدينة⁽³⁾ من خراب ودمار وحصد بالجملة لأبنائها، فقد أحرقوا الحرث وأهلكوا النسل؛ إطفاء لنار حقدهم المتأججة في قلوبهم .
وقد راغني حول الفرات منازلٌ تَخْلَيْنَ عَنْ أَلْفِهَا وَمَرَابِعِ دَوَائِرُ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبِيسِ تَوَحَّشَتْ
وَكُلُّ مَقَامٍ بَعْدَ أَهْلِيهِ ضَائِعُ⁽⁴⁾

ثم يندد بما فعله أعداء القيم من الذين يدعون أنهم يدينون ويؤمنون بها
على أيِّ غُذْرٍ تُحْمَلُونَ وَقَدْ نَهَتْ عَلَيَّ رَغْمِ قَوَانِيكُمْ عَنْ فِعْلِكُمْ وَالشَّرَائِعُ بَرَاءُ
روح الطهر (عيسى) أَذْلُتُمْ ذِمَاءَ هَوْنَتِهَا الْفِطَائِعُ⁽⁵⁾

ولم يفت (الجواهري) أن يصور بطولات الثوار، الذين كانوا يعانقون الموت بقلوب
أمنة مطمئنة، فعلى الرغم من سيل القنابل التي كانت تمطر رؤوسهم، والحصار الذي كان
يحيطهم من كل جانب، غير أنهم رفضوا أن يستسلموا إلا للموت، وقد أجاد الجواهري
عندما شبه أولئك الكماة بالنجوم الزواهر في ذلك الليل البهيم، فيقول:
وممّا دهاني والقلوبُ ذواهلٌ هناك وطيَرُ الموتِ جاثٍ وواقع
وقد سدّت الأفق العجاجة والتقت جحافلٌ يحُدُّوها الرّدى وقطائعُ
كمي⁽⁶⁾ مشى بين الكماة وحوله نجومٌ بليلٍ من عجاج طوالع وهم
هُم استسلموا للموت، والموتُ جارِفٌ عرضوا للسيفِ والسيفُ قاطِعُ⁽⁷⁾

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(3) ويقصد بها (الكوفة) وان الشاعر قد خص بالذكر هذه البلدة، لأنها كانت والديوانية الخطين الأماميين لقوات الثوار في شتى أنحاء الفرات، ولأنها البلدة التي كان يتردد عليها (الجواهري) إبان الثورة، قد تعرض فيها غير مرة للموت، ولكنه نجا بأعجوبة. ينظر : الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 103.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(6) الكمي: المفرد هنا يتضمن رمزا عاما للكماة الوطنيين من الثوار، ويريد كل كمي منهم وكل شجاع وكل قائد. وقيل أنّ المقصود هو : (عبد الواحد الحاج سكر).

(7) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

كما لم ينس الجواهري في قصيدته، صورة تلك الباخرة العملاقة التي دمرت على يد الثوار، فجمع في وصفها، بين جمال مظهرها وقبح فعالها، فهي الحسنة التي تهب الموت والدمار فيقول :

تقيها وأشباح المَنايَا مدار ع
به مثَلتْ ظُلُم النَّفُوسِ الْفُطَائِعِ
وليس كراءٍ في التَّهْيِيبِ سامع
بها زُخْرَفَتْ لِلنَّاظِرِينَ الْبِدَائِعِ
على النارِ مِنْهَا قَدْ طَوِينِ الْأَضَالِعِ
حَشَّتُهُ الْمَنايَا فهو بالموتِ ناقع
سواءٌ لَدَيْهَا شَيْبٌ وَرَضَائِعِ
كما مِيلَ الْخَدَّ الْمُصْعَرَّ صَافِعِ
وليس من الموتِ المحْتَمِّ دافع
كما خَرَّ يَهْوي للعبادةِ رَاكِعِ
بها وانطوى مرأى مَرُوعٍ وَرَائِعِ⁽¹⁾

بباخرة فيها الحديدُ معاقِلٌ
وإنْ أنْسَ لا أنْسَ الْفِرَاتِ وموقِفاً
غَدَاةً تَجَلَّى الموتُ في غيرِ رَيْهِ
تراها بيوم السَّلَمِ في الحُسْنِ جَنَّةً
على أنْهَا والغدرِ ملءٌ ضلوعها
ألا لا تَنْشَلْ كَفُّ رَمَتْهَا بِثَاقِبِ
من اللَّاءِ لا يَعْرِفُنَ لِلرُّوحِ قِيَمَةً
فَوَاتِكُ كَمْ مَيَّلُنَ مِنْ قَدَرِ مُعْجَبِ
أنتها فلم تمنع رَدَاها حصونُهَا
هنالكِ لو شاهدها حينَ نُكْسَتْ
هوتَ فهو حَسَنٌ وظَلَمٌ تمازجا

على الرغم من فشل الثورة وملاحقة الانكليز لشعرائها بالسجن والتشريد⁽²⁾، إنَّ الجواهري ظل مقاتلاً عنيدا يصب جام غضبه على رؤوس أولئك الذين كانوا سببا في فشل الثورة من الجواسيس والخونة، ابتغاء عرض الدنيا، ممن ركبوا الليل الجمال واتصلوا بالانكليز، فنالوا الجاه والسلطان طيلة الحكم المسمى بـ (الوطني)، هم وأولادهم من بعدهم، وإلى هؤلاء يشير في قصيدته (في رثاء شيخ الشريعة) إذ يقول:

أبا الحسن في الصدرِ مني سريرةٌ
سأكتمها حتى تُبَاحَ سرائره⁽³⁾

كما شجب الشاعر في هذه القصيدة محافظ كربلاء (حميد خان) الذي كان متعاوناً مع البريطانيين، وحينما عرض الجواهري بقوله :

لفقدك حال الدين عمّا عهدته
فمسلمة في ذمة الشرع كافره⁽⁴⁾

خرج من الاحتفال مغضوباً⁽⁵⁾. وأنَّ فشل الثوار ليس حدثاً غريباً على (الجواهري)، ولكنها جولة بجولة، حتى تنتصر في نهاياتها الشعوب، يقول الجواهري:

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 101.

(3) الأعمال الكاملة : 1 : 58.

(4) نفسه.

(5) ينظر: الجواهري شاعر العربية : 176.

عليك فإنَّ الدَّهرَ ماضٍ وراجِعُوا يَماننا مِنهِنَّ
مَعطٍ وَمانِعٍ فَقَدِ يَجْمَعُ الشَّملُ المُفَرَّقَ
جامِعَتُنَّيْ، أنْ لا بَدَّ تَدنو المِصارِعُ⁽¹⁾

فيا وطني إنَّ لَمْ يَجِن رُدُّ فائِتي وَأحلامنا
مِنها صَحيحٌ وكاذِبٌ كما فَرَّقَ الشَّملُ
المُجَمَّع حادِثُوما طال عَصْرُ الظُّلَمِ إلَّا لِجِكمَةِ

وفي قصيدة (عبد الحميد كرامي) يكشف الجواهري سبب فشل الثورة، لأنها قامت قبل أوانها، لأن المفاهيم الثورية والوطنية لم تنرسخ بعد في نفوس العراقيين، لكنها كانت ميدان اختبار لمعادن النفوس الثمينة منها والرخيصة
حَتَّى إِذا أَفَحَتْ قُبَيْلُ أوانِها
جُمِعَتْ بِهِ شَتَى الصُّفوفِ، ووَحَّدَتْ
وبه تَكشَفَ كُلُّ أَرَبَدِ حالِكِ
قَد كان مِيدانُ الجِهادِ يَسودُه
كُتِبَتْ بِهِ الهُوجُ الهِجانُ لوجِهاها
وهفا الدَّعي فلم يَفاخِر أَنه
شِعواءُ يَجْهَلُ كُنْهَها الثُّوارِ
شَتَّى القُلُوبِ وَنامَتِ الأوغارِ
داجٍ، كما تَتَكشَّفُ الأَقْمارِ
حُكَّمان: وَقَدْ جاحَمَ، وَفَرارُ
وَحوى الجِياذِ كَريمَةٍ مَضْمارِ
يَعْلُوهُ مِنْ رَهجِ الجِهادِ غبارُ!⁽²⁾

وفي قصيدة (النقمة)، يذكر الجواهري العراقيين بالدماء التي أريقَت على أرضهم في ثورة العشرين، فكان جزاؤها بيع الوطن وال سكوت والخنوع، حيث يقول:
وطَنٌ أَقامتْ رِكنَهُ شِبابنا بِدَمٍ عَبيطِ
يا لِلرجالِ تَلافَتَهُ يَدُ الأَعاجمِ والنَّبيطِ
يا نائِماً ما نَبَّهَتَهُ الحادِثاتُ مِنَ الغَطيْطِ
أَفَبَ لَها مِنَ عِيشَةٍ ما بَينَ وَغَدٍ أَوْ لَقيطِ⁽³⁾

وفي قصيدة: (الدم يتكلم بعد عشر) أنَّ الدم بات يتكلم، ويحاسب كل من خان القيم، التي من أجلها أريق ليحول إلى أشباح مرعبة وكوابيس مخيفة، تطاردهم في كل مكان فأقض مضاجعهم، ونكد عيشهم، فكل شيء ثمن، و ثمن الخيانة العذاب المهين، ثم يمسك بتلابيبهم قائلاً ما أن دعوتمونا بالأمان الكذاب حتى استجبنا لكم، أسفكم دماءنا لتستبيحوا للدخيل الأرض والعرض؟ أليس فيكم رجل شجاع يصون الديار ويحمي الذمار.
لو سألنا تلك الدماء لقالَتْ
مَلاً اللهُ دُورَكم مِنَ خِياالي
وَعَدوتُمْ لَهولِ ما يَعتريكمُ
تَحسِبونَ الورى عِقابَ خُضراً
بالأمانِ جَذابَةً قُدُّنمُوها
الهِذا (هَرَقْتُمُوني) وأُضحى
وَهي تَغلي حِما سَنةً واندِفاعاً
شِجاعاً مَرعَباً يَهُزُّ النِّخاعاً
تُتَكرونَ الأَبصارَ والأَسْماءَ
وتَرونَ الدُّروبَ مَلاى ضِباعاً
لِلمَنِيِّاتِ فانجِذِبْنَ انصِباعاً
أَلْفُ عَرَضِ وأَلْفُ مُلْكِ مُشاعاً

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 591.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 100.

أولا تملكون بعدُ شجاعاً
سَلتَ فيها ولم تُجيدوا الدِّفاعاً⁽¹⁾

أ فوحدي كنتُ الشَّجاعةَ فيكم
كلُّ هذا ولم تصونوا رُبوعاً

وبعد مضي (ثلاثين) عاماً يستذكر الجواهري تلك الدماء، ليجني ثمارها حَفنةً وهبت البلاد للمستعمر، وتحولت على أبناء جلدتها ذئاباً كاسرة، لتذيق ذوي الدماء المسفوكة من بقايا الثوار مع غيرهم، من أبناء العراق سوء العذاب، حيث يقول:

كانتْ تَضُمُّ شَتَاتَهُمْ أَحْجَار
نحنُ الْوَقُودُ لها ونَحْنُ النِّار
شَعْبٌ تُغْلُّ جُودَهُ أَنْفَار
تلكَ القصورُ - من الجُمُوعِ ديار
شَرَّتْ الحريِرَ لغيرها أَطْمار
وعلى من اُمْتُشِقُوا الحُسامُ وثاروا؟
ولهم - إذا رفقوا بهم - أسار
سوطُ الرُّعاةِ ومَسَّها الأضرار
من فرط ما احتالبت لها أشرار
لو كان يعرف رحمةً جَزَار⁽³⁾

ألقى لنا المستعمرون عصاة
ثم انكفأنا نصطلي بوقيدة
وانصاع يدفع من دماءٍ جزيةً
وتخربت - لتسُدَّ أجواز السما
وبدَّتْ على تلك الملايين التي
وتساءلوا فيم استجدُّوا ثورةً؟
الأجل أن يسقى الطغاة دماءهم
تلك الثلاثون⁽²⁾ العجاف، أذلها
جمدت على الجلد اليبس ضروعها
لم تبق منها الطارئاتُ جزاراً

وإذا كان لكل شاعر نبوءة، فنبوءة الجواهري تتجلى في أول قصيدة كتبها في (ثورة العراق) عام (1921)، حيث تنبأ أن رجال السلطة ويسميهم بـ (أبناء السقوط) سيضطهدون ويشردون أبناء الثورة، ما لم يأخذوا جنسية غير عربية، حيث يقول في قصيدة (ثورة العراق):

(السقوط) سَـ عُدُوا
أُمَّلْتَهُ وَه بَـ دَدُ
شَـ يَدْتَمُوهُ النَّكَد
ومـ أَلْكُم مَهـ دَد
راق ضائع مضطهد⁽⁴⁾

مواطني شَفَقْتُ وأبناء
يا أخوتي كلُّ الذي
نصيبكم من كلِّ ما
أولا فإنَّ عِرْضَكُمْ
أخو الشُّعور في العـ

وكانت تلك بداية الصراع مع حكومة (المس بل) سكرتيرة الشرق لدار الاعتماد البريطاني في العراق، حيث هجاها الجواهري؛ لأنها استهزأت بالثوار، ووصفتهم بعبارات لا تليق، فقال الجواهري في قصيدته (إلى الخاتون المس بل):

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 273.

(2) الثلاثون عاماً التي مرت على ثورة العشرين حيث نظمت القصيدة عام 1950

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 598.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 62.

إن تهزئي منهم فعذرك واضح
وهم الذين ارتكبم وقفائهم
لو كان فيهم للخيانة مطمع
ملء العراق أمجاداً لولا هم

فهم الذين سقوك أوباً كاس
لطم الخدود ونثفت شعر الراس
لعرفت كيف إقامة القداس
هو مثل بنيان بغير أساس⁽¹⁾

وفي قصيدة (ذكرى أبو التمن) -وبعد (خمسة وعشرين) عاماً- يقسم الجواهري
بالتوار الذين روى بدمائهم أرض الفرات القاحلة، فأحالتها بما سقتها وبما نفحتها من كرامة
وعزة، إلى روضة معطار فيقول:

قسماً بيومك والفرات الجاري
والأرض بالدم ترتوي عن دمنة
والخيل تزحف لم تدغ لمغيرها
إن الذين عهدتهم حطب الوغى

والثورة الحمراء والثوار
وتمجّه عن روضة معطار
جئت تغطي الأرض أي مغار
لولا هم لم تشتعل بأوار⁽²⁾

إن الجواهري الذي بكى⁽³⁾ شهداء (ثورة العشرين) ظل وفيًا لهم يذكر بهم النشء،
طالباً منهم محبتهم والسير على طريقهم، ففي قصيدة: (يابنت رسطاليس) يقول:

علمه حب الثائرين من الورى
واجل الشعوب كرائم لا تتقص
واجلب له أمس البعيد مراجعاً
أره لثورته⁽⁴⁾ عظام جماجم

طراً، وحب المخلصين عقائدا
شعباً ولا تقحم عليه شواهدا
والبح له أمس القريب مساندا
وابعث له زناداً أطن وساعدا⁽⁵⁾

فبرغم خمود نار الثورة، وزوال رجالاتها، إن الجواهري ظلّ يحمل لواءها،
ويشعل فتيلها، كما في قصيدة: (هجرت الديار)، حيث يدعو اليعقوبي لمحاربة المحتل
فمثلك ينهض قطر العراق ويجمع أششتات أحمراره⁽⁶⁾

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 222.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 450.

(3) يقول الجواهري: ((بكيت شهيد ثورة العشرين وحييت قتيل العلمين الأول في صراعه لانتزاع بلاده من
من برائن المحتلين والثاني في كفاحه لطرد المتوحش الفاشي)). مذكراتي: 1 : 163.

(4) ثورته: ثورة العشرين.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 475.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 96.